مجلة شهرية

Issue No: 145 :عدد

September 2019 شهر ايلول

نــــور المسيــــح

Φ Ω Σ XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المحيي

ميلاد والدة الاله الكلية القداسة

انَّا نسجد لخشبة صليبك يا محبَّ البشر.
فانَّك سُمّرت عليها يا حياة الكُلّ.وفتحتَ
الفردوس للّصّ الذي تقدَّم اليكَ بايمانٍ يا مخلّص.
فاستحقَّ النعيم باعترافهِ لكَ قائلًا:اذكرني يا ربُّ.
فاقبلنا نحن ايضًا مثله صارخين: لقد اخطأنا كلُّنا.
فلتحنُّنكَ لا تُعْرِض عنَّا

هذا هو يوم الربّ فتهلَّلوا يا شعوب.
فها انَّ العذراء خدر النور وسفرْ كلمة الحياة
قد بزغت من الحشا مولودةً.
وهي الباب المتَّجه نحو الشرق.
فتنتظر دخول الكاهن الاعظم.
فانَّها وحدها قد ادخلت المسيح وحدهُ
الى المسكونة لخلاص نفوسنا

محتويات العدد

2	جبروت القِوَى الدهريّة
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	تذكار وضع زنّار والدة الإله
5	تذكار قطع رأس المعمدان
7	الإنديكتي
8	أعجوبة رئيس الملائكة ..
9	ميلاد والدة الإله الدائمة البتولية
10	------
11	حياة النُسك
11	-----
12	المجمع المسكوني الرابع
15	رؤيا القديس أرسانيوس
16	بين الأورثوذكس والأقباط
17	--------
18	في الطبيعة ضدّ الطبيعة الواحدة
19	---------
20	ما هو ذكر الموت
21	ما هي الكنيسة
22	-------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

تواجه الكنيسة اليوم صراعًا جديدًا مماثلًا **لحرب الايقونات**، إنه **الضغط الذي يُمارَس عليها من المجتمع الدهري** لتتكيّف مع قِيَمِهِ ومُثُلِهِ، حتى تصير هي بدورها دهرية.

إن خطر الدهرية على الكنيسة جسيم. بدلًا من أن تكون الكنيسة مُعِينة للمجتمع ليصير **أكثر كنسيّة**، يحاول العالم أن يؤثّر على الكنيسة **ويحوّلها إلى العالم**. وهكذا، تحفظ الكنيسة أشكالها وعاداتها لكن تخسر إيمانها. سوف تعاني نفس **مصير البابوية** التي كتب عنها **القديس نكتاريوس**: «**من خلال عقيدة العصمة، فقدت الكنيسة الغربية حريتها الروحية، وفقدت زينة هذه الحرية، واهتزّت حتى أساساتها، وحُرِمت من نعمة الروح القدس، ومن وجود المسيح. وانتقلت من كونها روحًا ونفسًا، وصارت جسدًا أبكمَ**».

إن جوهر الدهرية هو مبدأ **محورية الإنسان**. من ناحية أخرى، جوهر الكنيسة هو مبدأ **محورية الله**. إذا فقدت الكنيسة أو أنقصَت طبيعتها الإلهية / البشرية، فإنها تنحدر لتصبح مجرد مؤسسة دينية أو واحدًا من الأديان المتعددة في العالم.

الدهريون يقبلون الكنيسة كواحدة من أديان العالم، ولكن لا باعتبارها **الحقيقة الوحيدة التي تخلّص الناس بالمسيح**. مع أخذ ذلك بالاعتبار، إنهم يحاولون مساواة **الكنيسة الأرثوذكسية بالأديان الأخرى**. وهذا يؤدي إلى دين عالمي بتعاون جميع الأديان. الهدف ليس **الحقيقة التي تخلّص** بل **السِلْم العالمي**. وبطبيعة الحال، فإن هذا الطموح هو في صالح **قادة العالم في هذا العصر**، الذين يريدون أن تخضع الأمم لسلطتهم وتكون مسالمة (مُجبرين على الإذعان) من خلال تعاون الأديان.

من أجل التعايش السلمي، لا يعترف الأرثوذكس بالمسيح في التجمعات المتعددة الديانات. وهكذا يسمحون بأن تُدرَج الكنيسة بين الديانات التوحيدية، إلى جانب اليهودية والمحمدية. لكن من تعاليم العهد الجديد الأساسية **والآباء القديسين** أن الذين لا يؤمنون بأقانيم الثالوث الأقدس الثلاثة، وبكلمة الله المتجسد **هم ملحدون**. «مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ»، «الذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ». وكما يقول **القديس باسيليوس الكبير**: «إن الذين لم يؤمنوا بالابن لا يؤمنون بالآب».

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد رفع الصليب الكريم المحيي

«اليوم يُرفع الصليب فيطرد الشياطين، اليوم أُعتقت الخليقة كلها من البِلَى، اذ اشرقت علينا بالصليب جميع المواهب، فلذلك نخرّ كلنا ساجدين وبابتهاج قائلين: ما اعظم اعمالك يا رب المجد لك» هكذا يصرخ مرنم الكنيسة.

الآباء الأَجلّاء، الأخوة الأحباء بالمسيح، الزوار الحسنو العبادة، والحضور الكريم.

نمجد ربنا والهنا الذي جعلنا مستحقين ان نحتفل ببهجة وسرور في هذا العيد البهيج في **كنيسة القيامة المقدسة**، حيث رُفع فيها الصليب الكريم المحيي في العالم كله.

إنَّ هذا الحدث العالمي الفريد والمميَّز لعيد رفع الصليب المُكَرَّم، يتضمن في طياته معنى خاصًا **للكنيسة الاورشليمية**، ولأخويتنا أخوية القبر المقدس التي ما فتئت من خلال حضورها المستمر ووجودها الاصيل وخدمتها العريقة عراقة الوجود المسيحي في هذه الارض المقدسة، الحفاظ على هذا الإرث الروحي برفعها للصلوات والابتهالات الروحية، باذِلَةً وبحرارة ومحبة كل غالٍ ونفيس، حتى نفسها الكريمة للحفاظ على الكنيسة ورسالتها، ودورها الريادي في الاراضي المقدسة والتاريخية؛ حيث نصبت خشبة صليب ربنا يسوع المسيح في موقع الجلجثة، بعد ان عثرت عليه **القديسة هيلانة المعادلة الرسل**، زمن **القديس مكاريوس بطريرك المدينة المقدسة اورشليم** سنة ٣٢٦.

على هٰذين المكانين حيث تواجد وغرز الصليب الكريم المعطي الحياة؛ صنعنا اليوم – رفع الصليب المحيي – بلهفة وشوق كبير، مستنيرين باقوال الرسول بولس الحكيم: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلاطية ٦:١٤) .

إنَّ الرسول بولس يطفر فرحًا ويفتخر بالصليب اعظم افتخار، لأَن نعمة الروح القدس انسكبت في قلبه، لتتألق في نفسه الجيَّاشَةِ قوة الصليب وعظمة قدرته، ليشدو مرنمًا: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١ كورنثوس ١:١٨).

اذن صليب ربنا يسوع المسيح هو ينبوع للقوة الالهية والحياة الابدية، لذلك نسجد له بوقار ونرفعه بافتخار، كما يقول **قزماس المرنم**: «فلنعتصمن بالصليب الرب هذا فخرٌ حقيقيٌ، لأنه سلاح سلام وخلاص وراوية ظفر لا تقهر». وهذا يتحقّق بالصليب، وفي الصليب لان المسيح ربنا والهنا هو هو نفسه قد غُرِزَ على العود المحيي وكابد الآلام الطَّوعِيَّةَ عليه، وحسب اقوال بولس الالهي: «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَال حَسَنَةٍ.» (تيطس ٢:١٤).

بالصليب غلب قسطنطين الملك البار أعداءه وارتفع شأنه لما أظهر الرب له علامة الصليب مضيئة في السماء قائلًا له:«بهذه العلامة تغلب أعداءك». فغلب، وصار الصليب قوة الملوك وعزاءهم ونصرتهم. يضعونه فوق تيجانهم لكي يباركهم ويؤيدهم وينصرهم. الصليب هو قوة المجاهدين وسلاحهم فقد أوصاهم الرب قائلًا: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مت١٦: ٢٤). إن كانت الحية النحاسية قد أبطلت سم الحيات في العهد القديم، فكم بالحريِّ صليب ربنا يسوع المسيح، الذي رفع عليه، لا حية نحاسية بل رب المجد، وسكب دمه على الصليب ليصير لنا بالدم الحياة وبالصليب النصرة.

لهذا ايها الاخوة الاحباء، سنصرخ مع المرنم شاكرين وقائلين: «يا رب يا من رُفع على الصليب طَوْعًا وبه قد رفعتنا معك لتعتقنا من حيل المعاند، نحن المرنمين لك بايمان، اجعلنا نحن والعالم اجمع مستحقين للفرح والسرور والسلام السماوي المنحدر من لدنك يا ابا الانوار، امين»

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

تذكار وضع زنّار والدة الإله

مقدمة:

في التسليم الكنسيّ أن **والدة الإله الكلية القداسة** أعطت ثوبيها قبل رقادها إلى امرأتين يهوديّتَين فقيرتين سبق لهما أن خدمتاها قبل رقادها.

هاتان المرأتان حفظتا، بعناية كبيرة، البركة التي انتقلت من جيل إلى جيل إلى أن وصل أحد الثوبَين إلى **رجلين يدعيان غالبيوس وكانديوس** ، وكان ذلك زمن **الإمبراطور لاون الأوّل**.

وضع الرجلان الثوب في كنيسة سيّدة بلاشيرن (عيدها في ٢ تموز) في القسطنطينيّة.

زنار والدة الإله:

أمّا زنّار والدة الإله الذي وُجد بطريقة مجهولة المصدر في أبرشيّة زيلا، القريبة من أماسيلا في هيلينوبونتوس، فقد جرى نقله أيضًا إلى القسطنطينيّة في زمن **الأمبراطور يوستنيانوس الأوّل** (حوالي العام ٥٣٠م) وأُودع كنيسة خالكوبراتيا غير البعيدة عن كنيسة الحكمة المقدّسة (آيا صوفيّا).

قصة عيد ٣١ آب:

في حوالي العام ٨٨٨م وحين كانت **زوجة الأمبراطور لاون السّادس الحكيم، المدعوّة زويي**، مريضة مرضًا شديدًا بتأثير الرّوح الخبيث، أُعلمت في رؤيا حصلت معها أنّها ستنال الشّفاء بوضع زنّار والدة الإله عليها.

للحال فكّ **الأمبراطور** أختام الصّندوق الذي احتوى الإرث الثّمين الذي يحوي الزّنّار المقدّس ليجده بهيًّا جديدًا كما لو حيك العشيّة. وبجانب الزّنّار كانت وثيقة تشير بدقّة، إلى التّاريخ الذي جرى فيه نقل الزّنّار إلى القسطنطينيّة، وكيف أنّ **الأمبراطور** نفسه وضعه في الصّندوق وختمه بيديه.

قَبّل **الإمبراطور لاون** الزنار بإكرام شديد وسلّمه إلى **البطريرك** باليد. وما إن وضعه **البطريرك** على **رأس الإمبراطورة** حتّى شُفيت من مرضها على الفور فأنذهل كل الحاضرين لما شاهدوه وَمجّدَ الجميع الرب يسوع المسيح المخلّص مكرمين والدة الإله الكلّية القداسة.

أُعيد الزّنّار إلى الصّندوق بعدما اشتملته الإمبراطورة بخيطان من ذَهب.

الزنار في جبل آثوس:

من المتناقل أنّ القيصر البلغاري Asen (١١٨٧ – ١١٩٦) لمّا قهر **الأمبراطور إسحق الثّاني آنج** (١١٩٠م)، استأثر بالصّليب الذي كان فيه جزء من الزنّار المقدّس، وإنّ كاهنًا ألقاه في النّهر لئلا يتدنّس. استعاده الصّرب فقدّمه **الأمير القدّيس لعازر** (١٣٨٩م) إلى **دير فاتوبيذي، في جبل آثوس** حيث لا يزال محفوظًا إلى اليوم.

زنّار والدة الإله المحفوظ، في دير ڤاتوبيذي في جبل آثوس

رائحة طيب من الزنار:

يعبق الزنار بالطيّب الزكي ويجري به عدد كبير من العجائب.

خلاصة:

هذا الزّنّار الذي شدّ الأحشاء العفيفة التي تجسد فيها الرب الخالق، هو تعزية لكل مؤمن يطلب شفاعة الكلية القداسة التي هي أكرم من الشيروبيم وأرفع مجدًا بغير قياسٍ من السيرافيم.

تذكار قطع رأس يوحنا المعمدان

يَرِدُ خبر قطع رأس السّابق المجيد في الأناجيل الثّلاثة الأولى، متّى (١٤:١-١٢) ومرقس (٦:١٤-٢٩) ولوقا (٩:٧-٩).

مقدّمة:

الآمر بقطع رأسه كان **هيرودوس أنتيبّاس** المُعين من الرومان قيّمًا على الجليل والبيريا، وهو **ابن هيرودوس الكبير**. حكم كملك ما بين العامَين ٤ق.م و٣٩ ب.م. تزوّج من امرأة اسمها **هيروديّا**. لم تكن الشّريعة تجيز زواجه لأنّ **هيروديّا** كانت **امرأة أخيه فيليبّس**.

هذا هو **فيليبّس رئيس الرّبع على إيطوريّة وتراخونيتيس**، المذكور في لوقا ٣:٣، وهو **أخ هيرودوس** من جهة أبيه لا أمّه. **فيليبّس** كان قد أنجب من **هيروديّا ابنة هي سالومي**. **سالومي** غير مذكورة في الأناجيل بالاسم، فقط معرَّف عنها بـ «**ابنة هيروديّا**». اسمها ورد لدى **المؤرِّخ اليهوديّ فلافيوس يوسيفوس**. تنصّ الشّريعة صراحة: «عورة امرأة أخيك لا تكشف» (لاويّين ١٨:١٧)، و «إذا أخذ رجلٌ امرأة أخيه فذلك نجاسة» (لاويّين ٢٠:٢١).

توبيخ القدّيس يوحنا لهيرودوس:

كان **يوحنّا المعمدان** يقول **لهيرودوس**: «لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك» (مرقس ٦:١٨) ويوبّخه لجميع الشّرور التي كان يفعلها (لوقا ٣:١٩). فحنِقت **هيروديّا** عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر (مرقس ٦:١٩). لماذا لم تقدر أن تقتله؟ «لأَنَّ هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ.» (مرقس ٦:٢٠)

متّى الإنجيليّ يقول قولًا آخر. يقول إنّ **هيرودوس**: «كَانَ قَدْ أَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ وَطَرَحَهُ فِي سِجْنٍ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ» (متّى١٤:٣). ويقول أيضًا إنّ **هيرودوس** أراد أن يقتل **يوحنّا** لكنّه «خَافَ مِنَ الشَّعْبِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ.» (متّى ١٤:٥). رغم ذلك كانت **هيروديّا** تتحيّن الفرص لتتخلّص منه إلى أن كان «يوم موافق» (مرقس ٦:٢١) تمكّنت فيه من إرواء غليلها.

الأمر بقطع رأسه:

ذلك اليوم كان يوم ميلاد **هيرودوس**. صنع الملك عشاءً «لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ» (مرقس ٦:٢١). وفي العشاء دخلت **ابنةُ هيروديّا** ورقصت في الوسط فسرّت **هيرودوس** والمتّكئين معه. ومن ثمّ وعد بقَسَم أنّه مهما طلبت يعطيها (متّى ١٤:٧)، «حتّى نصف مملكتي» (مرقس ٦:٢٣)، على حدّ تعبيره. النصّ في مرقس يقول إنّها خرجت «وسألت أمّها: ماذا أطلب. فقالت رأس يوحنّا المعمدان» (مرقس ٦:٢٤)، فيما يبدي متّى الإنجيليّ أنّ الابنة كانت قد تلقّنت من أمّها (متّى ١٤:٨). لذلك حالما أقسم **هيرودوس** بأن يعطيها مهما تطلب أجابته للوقت بسرعة: «أَعْطِنِي هُهُنَا عَلَى طَبَقٍ رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ.» (متّى ١٤:٨). هذا أحزن الملك حُزنًا شديدًا. لماذا؟ ربّما لأنّه خاف العاقبة من جهّة الشّعب (متّى ١٤:٨) وربّما لأنّه كان يهابه ويوقّره ويسمعه بسرور (مرقس ٦:٢٠). مهما يكن فإنّه، «من أجل الأقسام والمتّكئين معه» (متّى ١٤:٩)، وجد نفسه مُجبَرًا على الإيفاء بما وعد، وكلام الملوك لا يُردّ، فأمر أن يُعطى وأرسل سيّافًا وأمر أن يُؤتى برأسه (مرقس ٦:٢٧). فمضى السّيّاف **وقطع رأس يوحنّا** في السّجن. ثمّ أتى برأسه على طبق وأعطاه **للصّبيّة والصّبيّة أعطته لأمّها**. فلمّا «سمع تلاميذه جاءوا ورفعوا جثّته ووضعوها في قبر» (مرقس ٦:٢٩). هذا ما يوافينا به كلّ من **متّى ومرقس الإنجيليَّين**.

أمّا **لوقا** فأشار إلى **قطع رأس يوحنّا** في معرض الكلام على يسوع. فإنّه إذ بلغ **هيرودوسَ الملكَ** جميع ما كان من يسوع والقوّات التي كانت تجري على يديه، وإذ تناهى إليه ما كان الناس يقولونه عن يسوع إنّه يوحنّا المعمدان، قد قام من الأموات، أو إنّه إيليّا ظهر أو

نبيٌّ من القدماء قام، ارتاب وقال: «يُوحَنَّا أَنَا قَطَعْتُ رَأْسَهُ. فَمَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْهُ مِثْلَ هذَا؟» وَكَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَرَاهُ.» (لو٩:٩). هنا يشار إلى أنّ **متّى ومرقس** يعطيان الانطباع أنّ **هيرودوس** هو الذي ظنّ أنّ يسوع هو يوحنّا قام من الموت. لذلك جاء عن الملك، في متّى، أنّه قال لغلمانه: «هذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ! وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ» (متّى ١٤:٢). والقول في إنجيل مرقس شبيه بهذا (مرقس ٦:١٤)

من أقوال الآباء:

يعتبر **القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفمّ** في قول هيرودوس لغلمانه: «هذَا هُوَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ...» أنّ في موقف الملك إجلالًا وخوفًا في آن، وأنّ في مهابة **هيرودوس** دليلًا على عظمة الفضيلة وتأثيرِ **يوحنّا** فيه رغم توبيخه له. حتّى الأشرار يُعجَبون بالفضيلة ويمدحونها. من هنا، في نظر الذّهبيّ الفمّ، حُزْنُ **هيرودوس**. ولا يفوت قدّيسَنا أن يشير إلى مكائد الشّرّير من خلال الرّقص والسُّكر. ففيما أضحت **ابنة هيروديّا** متورّطة من خلال الرّقص بجريمة من أبشع الجرائم التي تحدّث عنها التّاريخ، أطلق **هيرودوس**، بتأثير الخمرة والخلاعة والمجد الباطل، قَسَمًا جعله، خلافًا لقناعته، قاتلًا **لأعظم مواليد النّساء**.

وأورد **القدّيس غريغوريوس بالاماس** في شأن سماع **هيرودوس ليوحنّا** بسرور. قال: «ما كان يقوله الإنجيلي مرقس إنّ هيرودوس كان يسمع ليوحنّا معناه: في الأدوية يحصل ما يناقض التّعاليم الرّوحيّة. نشعر بمرارة الدّواء لكنّنا نتناوله بداعي فائدته. أمّا فيما يتعلّق بالتّعاليم الرّوحيّة، فهي عذبة لكنّ الذين يشتعلون بالرّغبات الشّرّيرة لا يتقبّلونها بسبب عداوتها لهم. ربّما كان هيرودوس يسمع له في البداية (مرقس ٦:٢٠)... لكنّه كره التّوبيخ فنسي النّصائح الأوّليّة واتّفق مع هيروديا من أجل القتل. وكان يخاف من الجمع (متّى ١٤:٥) لا بسبب إمكانية ثورتهم بل بسبب مجرّد حكمهم عليه، لأنّهم كانوا يعتبرونه نبيًّا. كانت فضيلة يوحنّا مشهورة وكان هيرودوس يحبّ المجد فخاف من حكم الجمع، لذلك كان يقدّم المديح ليوحنّا ظاهريًّا».

وفي حديث **القدّيس غريغوريوس** عن المجد الباطل وتأثيره فينا يقول: «يعاني ذهننا (*Nous*)... هذا المرض! فمع أنّه أُبدع من الله ملكًا ومتسلّطًا على الأهواء، عندما ينجذب... من المجد الباطل... يُقاد إلى أعمال شاذّة وعواقب وخيمة. هكذا فإنّ كلّ واحد، مستعبَد للخطيئة والشّهوات، عندما يُوبَّخ من ضميره يتضايق أوّل الأمر. لذا يحبسه (يحبس ضميره)، بمعنى، كما فعل هيرودوس بيوحنّا رافضًا أن يسمع له، غير مريد أن يتّبع الأقوال النّاهية عن الخطيئة. وعندما تتسلّط عليه الشّهوات بحضور هيروديّا، وهي فكر الخطيئة الكامن في النّفس، عندها تنتزع الشّهوات هذه كلام النّعمة المزروع في النّفس أي الضمير، فتقضي عليه وتقتله نقضًا للكتاب المقدّس، ولكلمة الله كما حصل لهيرودوس بالنّسبة ليوحنّا».

ملحوظة:

يُذكر أنّ قطع رأس السّابق جرى في **قلعة ماخيروس** بقرب البحر الميّت.

في النهاية نُفي **هيرودوس الملك** إلى **ليون في فرنسا** سنة ٣٩م **وإلى هناك تبعته هيروديّا**.

كما يُشار إلى أنّ **عيد قطع رأس السّابق المجيد** جرى الاحتفال به، أوّل الأمر، في القسطنطينيّة وبلاد الغال (فرنسا) ثمّ انتقل إلى رومة. وهو يوم صوم بخلاف سائر الأعياد. في قنداق الاحتفال بعيده تُرتّل الكنيسة فيما ترتّل: «إنّ قطع رأس السّابق المجيد صار بتدبير إلهيّ ليكرز للذين في الجحيم بمجيء المخلّص...».

طروباريّة قطع رأس النّبيّ الكريم السّابق المجيد يوحنّا المعمدان باللّحن الثّاني:

تذكار الصدّيق بالمديح، فأنت أيّها السّابق تكفيك شهادة الرّبّ، لأنّك ظهرتَ بالحقيقة أشرفَ من كلّ الأنبياء، إذ قد استأهلتَ أن تُعمّد في المجاري من كرزوا هم به. ولذلك إذ جاهدتَ عن الحقّ مسرورًا، بشّرت الذين في الجحيم بالإله الظّاهر بالجسد، الرّافع خطيئة العالم، والمانح إيّانا الرّحمة العظمى. (**المجاري جمع مجرًى= مجاري نهر الأردن**)

قنداق باللّحن الخامس:

إنّ قطع رأس السّابق المجيد صار بتدبيرٍ ما إلهيّ. لكي يُكرزَ للذين في الجحيم بمجيء المخلّص، فلتنتحبْ إذنْ هيروديّا الطّالبة القتل المخالف للشّريعة، لأنّها لم تؤثر شريعة الله ولا أحبَّتِ الحياة الأبديّة، لكنّها بالحَرِيّ أحبّت الحياة الوقتيّة.

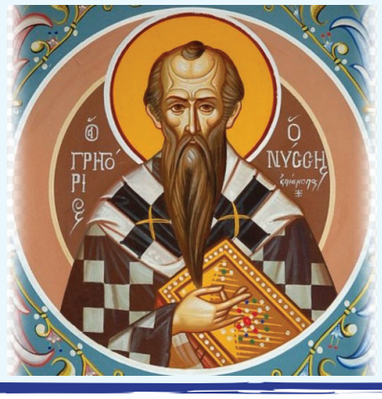

«لأن هذا هو الكمال المسيحي حقًا: عدم التوقف عن النمو قط، نحو ما هو أفضل وعدم وضع أي حد لمسيرة الكمال».

«مبارك هو الإنسان الذي يتقدم تحت قيادة الجنرال الإلهي، المجند في صفوف آلاف الآلاف من الناس، المتسلحين ضد الشر بفضائل مختومة بصورة الملك».

القديس غريغوريوس النيسي

رأس السنة الكنسية في ١ أيلول:

تعيّد الكنيسة لرأس السنة في ١ أيلول كرأس السنة الكنسيّة ويدعى بـ «**الأنديكتي**» من اللفظة اليونانية «**انديقتيون**»(١).

محطّات في أوّل شهر أيلول:

١– كان **القياصرة الرومان** يفرضون جزية سنوية على رعاياهم، وهذه الجزية تدفع لنفقات الجنود، وكان وقت جمع هذه الجزية هو قبل الشتاء أي في شهر أيلول، وكانوا يسمونها «**أنديكشيو**» وتعني حدًا، أو إعلامًا عن الجزية، ومنها أتت الكلمة اليونانية «**أندكتيون**» التي تعني في الكنسية بداية السنة الجديدة.

٢– اعتبارًا من القرن الرابع الميلادي(٢) كانت السنوات تُحسب بحسب دورة مالية من السنين تدعى « أنديكتيون» *Indiction* ومدّتها ١٥ سنة، لها علاقة بجباية الضرائب حيث يُعاد فيها تخمين الأملاك الضريبية، ولم تنه السلطة البابوية العمل بتلك الدورة المالية إلّا في القرن العاشر أيام البابا «يوحنا الثالث عشر» ٩٦٥ –٩٧٢م ، حيث بدأ استعمال «التقويم الميلادي» الذي أنشأه **الراهب** «**ديونيسيوس أكزيجوس**» بين ٥٠٠ –٥٢٥م، والذي لم يصبح معمولًا به في «أوروبا» إلّا في القرن الحادي عشر الميلادي وفي «إسبانيا» في القرن ١٤م، وفي «اليونان» في القرن ١٥م.

٣– كانت حياة الناس قديمًا تعتمد على الزراعة وكان كلّ شيء مرتبطًا بالمواسم الزراعيّة ويظهر هذا جليًّا بالعبادة والطقوس الدينيّة عند الوثنيين واليهود في العهد القديم.

٤– شهر أيلول هو موسم جمع الأثمار والحبوب إلى المخازن، وإعداد العدّة لإلقاء البذور، في الأرض من جديد.

تصلّي الكنيسة في هذا اليوم من أجل إكليل السنة ومباركته... (طلبة رأس السنة): « يا مانحًا من السماء الأزمنة والأمطار المخصبة للذين على الأرض تقبّل أيضًا الآن، ابتهالات عبيدك... فإن رأفاتك تعمّ حقًا جميع أعمالك. بارك كلّ دخول وخروج نأتيه مسهّلًا أعمال أيدينا....(**كاثسما للأنديقتي – صلاة السحر**).

ملحوظة: لا يزال المزارعون حتى الآن يبنون حساباتهم على أن السنة الزراعية تبدأ في شهر أيلول.

٥– تحتفل الكنيسة في هذا اليوم، بذكرى دخول الرّب يسوع المسيح إلى مجمع اليهود في الناصرة، حيث دُفع إليه سفر إشعياء النبي، على ما ذكر لوقا الإنجيلي فقرأ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ».. (لو٤: ١٨–١٩)

إذ تحتفل الكنيسة بهذه الذكرى، تدخلنا في الزمن الجديد، في سنة الرّب المقبولة، في زمن ملكوت السموات الذي دشّنه الرب يسوع المسيح عندما أعلن، بعدما انتهى من قراءته من سفر إشعياء، «أنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم».

خلاصة: على هذا يكون بدء السنة الكنسيّة الجديدة قد اقترن عبر التاريخ، بتدبير إداري إمبراطوري، وتلوّهت بمسعى لتقديس الخليقة والمواسم، وتتوّج بالدّخول في «سنة الرب المقبولة».

معلومات مساعدة

التقويم الروماني القديم:

كانت **الدولة الرومانية** تستخدم تقويمًا يتألف من عشرة أشهر، ومنه جاءت تسمية أكثر الأشهر، ثم استخدموا تقويمًا **شمسيًا – قمريًا** حيث أن طول السنة فيه ٣٥٥ يومًا وعدد الأشهر ١٢ شهرًا وعدد الأيام في الأشهر بين ٢٩ و٣٠، وهذا يوافق السنة القمرية، ثم في السنة التالية لها يضاف شهر طوله ٢٢ أو ٢٣ يومًا على التعاقب فيكون طول السنة الكبيسة ٣٧٧ أو ٣٧٨ يومًا.

وتكون متوسط حصيلة دورة أربع (٣٥٥+٣٧٧+٣٥٥+٣٧٨) تساوي ٣٦٦,٢٥ وهو ما يعادل طول السنة الشمسية، وَيُعَزَّى هذا التقويم **للإمبراطور نوما الروماني**، ولكن هذا التقويم طاله التلاعب، فجعلوا بعض الشهور التي سميت على **أسماء القياصرة** ٣١ يومًا على حساب الشهور الأخرى، وكان عد السنين يبتدئ من سنة تأسيس مدينة روما عاصمة الإمبراطورية. وهي سنة ٧٥٣ ق.م.

التقويم اليولياني : Julian Calendar هذه التسمية مرتبطة **بيوليوس قيصر** الذي فرضه في سنة ٤٦ ق.م ليدخل حيّز التنفيذ عام ٤٥ ق.م. الموافق لسنة ٧٠٩ لأنشاء روما.

يحاول التقويم اليولياني محاكاة السنة الشمسية ويتكوّن من ٣٦٥ و ٢٥ يومًا مقسّمة على ١٢ شهرًا.

لما احتلّت **الإمبراطورية الرومانية** مصر استفاد الرومان من علوم المصريين الفراعنة الفلكية، فقام **يوليوس قيصر** بتعديل التقويم الروماني القديم بالاستعانة بأحد الفلكيين الإسكندريين يدعى **سوسيجنيو**، وقد تمثّل تعديله في جعل السنة العادية ٣٦٥ يومًا والكبيسة ٣٦٦ يومًا، وتكون سنة كبيسة كلّ أربع سنوات، وجعل عدد أيام الأشهر الفردية ٣١ يومًا والزوجية ٣٠ يومًا، عدا شهر شباط فيكون في السنة العادية ٢٨ وفي الكبيسة ٢٩.

استعيض منذ القرن ١٦ عن التقويم اليولياني (لعدم دقّته) بالتقويم الغريغوري .

استمر استخدام التقويم اليولياني في الكنائس الأورثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم المعدّل عام ١٩٢٣م.

ينشأ بين التقويمين منذ عام ١٩٠٠ وحتى عام ٢٠٩٩ فارقًا قدره ١٣ يومًا ،إذ يتأخر بها التقويم اليولياني عن التقويم الغريغوري.

ملحوظة: لا يزال هذا التقويم مستخدمًا في أديرة جبل آثوس.

التقويم الميلادي:

كان عدّ السنين في التقويم اليولياني مبنيًا على **التقويم الروماني القديم** الذي يعتبر سنة إنشاء مدينة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية بداية للتاريخ وهو سنة ٧٥٣ ق.م ، ثم وفي منتصف القرن السادس دعا **الراهب الأرمني ديونيسيوس اكسيجونوس** إلى وجوب أن يكون ميلاد المسيح هو بداية التقويم ونجح هذا الراهب في دعوته، فأصبح عد السنين منذ سنة ٥٣٢ م يعتمد على سنة ميلاد المسيح، وهي سنة ٧٥٣ منذ تأسيس روما على حساب **ديونيسيوس**.

التعديل الغريغوري:

لاحظ غريغوريوس الثالث عشر بابا روما (القرن السادس عشر) أن يوم الاعتدال الربيعي وقع في ١١ آذار بدلًا من ٢١ آذار، بفارق عشرة أيام، فكلّف **الراهب اليسيوس ليليوس** ليقوم بتعديل التقويم اليولياني.

فتمّ الاتفاق على حذف ثلاثة أيام كلّ ٤٠٠ سنة وأن تكون السنة القرنية (التي هي من مضاعفات ١٠٠) سنة بسيطة إلّا إذا قبلت القسمة على (٤٠٠) بدون باقٍ، وهكذا نام الناس يوم الخميس ٤ تشرين الأوّل ١٥٨٢م واستيقظوا يوم الجمعة ١٥ تشرين الاوّل ١٥٨٢م.

(١) Indiction: A fiscal period of fifteen years used as a means of dating events and transactions in the Roman Empire and in the papal and some royal courts. The system was instituted by the Emperor Constantine in AD 313 and was used in some places until the 16th century.

(٢) المرجع: المهندّس والدليل السياحي عبد الله حجار- مهندس مدني من جامعة حلب عام ١٩٦٣ - له مؤلّفات وأبحاث عديدة في الأثار.

أعجوبة رئيس الملائكة ميخائيل في كولوسي

تعريف:

في مكان ما من كولوسي، في موضع اسمه خيريتوبا، خرجت من الأرض مياه حيّة كانت تشفي كلّ مرض.

فقام واحد من المؤمنين من لاذقية آسيا الصغرى، شفيت ابنته الخرساء، بتلك المياه، بتشييدْ كنيسة صغيرة جميلة على **اسم رئيس الملائكة ميخائيل**.

ثم بعد تسعين سنة جاء **ناسك اسمه ارخبّس** من **هيرا بوليس** المجاورة واستقّر فيها، وقد أعطاه الله موهبة صنع العجائب.

غضب الوثنيون:

أثار ذلك **حسد الشياطين** فحرّكوا عليه بعض الوثنيين من الجوار، وهؤلاء بدورهم حاولوا سدّ فوهة الينبوع فأفشل **رئيس الملائكة ميخائيل**، الذي كان حاضرًا بصورة غير منظورة، مسعاهم.

ثم سعوا أن يحوّلوا مجرى مياه نهر مجاور ليغرقوا الكنيسة بالمياه، وبمن فيها فأخفقوا.

وأخيرًا تمكّنوا من تحويل مجرى نهرين صوب المكان.

عجيبة الملاك ميخائيل:

وإذ كانت المياه تهدر مسرعة باتجاه الكنيسة، ضرب ميخائيل رئيس ملائكة الله إحدى الصخور، في مجرى المياه، بعصاه فغارت الصخرة ومعها المياه إلى أعماق الأرض، فسلمت الكنيسة.

ولأن المياه دخلت في الأرض كما في حفرة عميقة، سمي المكان **خوني أي حفرة**.

ومنذ ذلك الحين، صارت تقام هذه الذكرى لتمجيد الله وإكرام **رئيس الملائكة ميخائيل حامي كنيسة خون**.

ميلاد والدة الإله الفائقة القداسة والدائمة البتولية مريم:

«القدير صنع بي عظائم واسمه قدّوس». (لوقا ١:٤٩)

حياة العذراء مريم هي خير شرح لهذه الآية، وحياة والدة الإله هي أفضل مثال لنا نحن البشر.

إنسانةٌ مثلنا تقدّست بالنعمة وولدت الإله. يا له من سرّ عظيم يفوق كلّ العقول.!!! عذراء تصبح والدة الإله. وحدها هذه العبارة يكمن فيها «كل سرّ تدبير الخلاص» (القدّيس يوحنا الدمشقي)

بالمقابل يقول القدّيس نيقولاس كاباسيلاس (نحو ١٣٢٠-١٣٦٣):

« نظر الله من العلى إلى الأرض فرأى إنسانة طاهرة نقيّة متواضعة، فلم يستطع إلّا أن يتجسّد منها". تواضع العذراء مريم جذب الله.»

هنا لُبُّ الموضوع. طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله (متى ٥:٨).

فهي لم تعاين الله فحسب، بل حملته في أحشائها. وهكذا بمسيرتها تتحقّق أقوال الأنبياء بخلاص الله الموعود للبشر. **الله يصبح إنسانًا.**

الكنيسة تحتفل بميلاد السيّدة لأنّ فيها تمّ القصد الإلهيّ بخلاص البشر. من ميلادها نأخذ عبرةً أنّ: «كلّ مولود بشري مشروع قداسة وحامل للإله»، إذا هو أراد طبعًا.

تقيم الكنيسة الأرثوذكسيّة لوالدة الإله أكثر من عيد في السنة.

ولكن يجب أن ندرك جيّدًا أن كلّ الأعياد الأساسيّة (وهي اثنا عشر ما عدا الفصح) في الكنيسة الأرثوذكسيّة، الثابتة والمنتقلة هي أعياد سيّديّة لأنها تتمحور حول الرّب يسوع المسيح وترتبط به. فهي تدعى سيّديّة لأنّها من كلمة سيّد وليس من كلمة سيّدة. حتى عيد ميلاد والدة الإله، وعيد دخول السيّدة إلى الهيكل وعيد البشارة وعيد رقاد والدة الإله والتي هي من ضمن الأعياد الإثني عشر هي أعياد سيّدية مرتبطة بالرّب مع أنّها تُدعى أعياد والدية.

الجدير بالملحوظة أن عيد ميلاد والدة الإله (الثامن من أيلول) هو أوّل عيد سيّدي في الكنيسة الأرثوذكسيّة بحيث تبدأ السنة الطقسيّة في أوّل شهر أيلول، وكذلك عيد رقاد والدة الإله هو آخر عيد سيّدي ويقع في الخامس عشر من شهر آب.

وكأنّ الكنيسة الأرثوذكسيّة في ذلك أرادت أن تقول إنّ والدة الإله الأم التي حملت في أحشائها الضابط الكل، تحمل في أحشائها دورة أعيادنا الليتورجيا كلّها من أوّلها إلى نهايتها.

كيف لا وهي الأمّ الحاضنة التي كلّما نظرنا إلى أيقونتها تنظر هي في وجهنا لتقول: «لنهلل سويًا للرّب يسوع المسيح، إنّه المخلّص الوحيد. إلهي وإلهكم، مخلّصي ومخلّصكم.»

ومع ولادة مريم تبدأ بشائر الفرح وتحقيق الوعد الخلاصي. فهذه الطفلة ستكون والدة الإله. ولكن، ليس باختيار مسبق ولا بتمييز بين الخلائق البشرية، بل بتواضعها ونقاوتها وعشقها لله. فهي التي قالت: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ.» (لوقا ١:٤٦-٤٨).

فلا أحد من البشر يولد خاطئًا. أجل، كلّنا معرّضون للخطيئة بسبب ضعف الطبيعة البشريّة، إلّا أنّنا ورثنا نتائج **الخطيئة الجدّيّة بعد سقوط آدم وحواء**، من غير أن نرث الخطيئة نفسها. في هذا وُلِدَت العذراء مريم كسائر البشر، من دون تمييز، وتغلّبت على مختلف التجارب بعشقها لله والتصاقها به. نحن إذًا مدعوّون لنحذو حذوها ونتّخذها مثالًا. فإنّ من يتّحد بالله وبنعمته يغلب جميع أنواع الخطايا. فالخطيئة ليست أقوى من الإنسان بتاتًا مهما تكبر وتثقل، بل هي مغلوبة بنور المسيح. وهذا يذكّرنا بما قاله الله لقايين منذ بَدْءِ سِفْرِ التكوين:«...عند الباب خطيئة رابضة واليك اشتياقها وأنت تسود عليها» (تكوين ٤:٧) فعبارة «أنت تسود عليها» هي لكل واحدٍ منّا، فنحن نسود على الخطيئة بثباتنا بالله.

مع ميلاد مريم تبتدئ رحلة عودتنا إلى الملكوت. ومع رقادها وانتقالها

إلى السماء يتحقق ما قاله الرّب يسوع لنا: «من آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو١١:٢٥). فنحن خلقنا لنكون قياميّين بالقائم أبدًا ودائمًا.

تاريخ العيد:

يعود أصل العيد إلى أواسط القرن الخامس في أورشليم حينما كُرّست كنيسة على اسم والدة الإله مريم قرب البركة الغنميّة أو بركة بيت حسدا في أورشليم.

من أورشليم انتقل الاحتفال بعيد ميلاد العذراء في القرن السادس إلى القسطنطينيّة حيث وضع القدّيس رومانوس المرنّم التراتيل الخاصة بهذا العيد وما زلنا نصلّي بعضها في طقوسنا.

من الشرق انتقل العيد إلى الغرب في عهد البابا سيرجيوس الأول (٦٨٧-٧٠١) الأنطاكيّ الأصل.

لا يذكر العهد الجديد شيئًا عن طفولة مريم ولا عن مولدها أو رقادها، ذلك أنّ هدف الأناجيل هو البشارة بالربّ يسوع الإله المتجسّد وبالتدبير الخلاصي من أعمالٍ وتعاليم.

لكنّ التسليم الكنسي الّذي حفظ مكانة خاصة لوالدة الإله ، يذكر أن ولادتها تمّت بتدخل إلهي مباشرٍ، كما حصل مع عدد من الأشخاص في العهد القديم كإسحق ابن إبراهيم وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان.

ذلك كلّه ضمن سر التدبير الخلاصي.

من اكثر المصادر إنجيل يعقوب المنحول. وهنا نَلفت أنّ الأناجيل المنحولة ليست كلّها هرطوقيّة وفاسدة، بل منها ما هو مفيد، ولكنّ الكنيسة لم تدرجهُ في الكتاب المقدّس لأنه لا يرتبط بالخلاص مباشرة، ومنها ما هو كاذب وهدفه الإساءة إلى الكنيسة كإنجيل يهوذا. وقد شرح الآباء القدّيسون الذي صادقوا على تعاليم الكنيسة كلّ هذه الأمور وليس من شيء مخفيٍ على أحد. فكل هذه الأمور مدوّنة من القرون الأولى للمسيحية.

فقد ورد في «إنجيل يعقوب المنحول» أنّ يواكيم، والد مريم، وهو من سبط يهوذا من نسل داود، تربّى في عائلة تقيّة مارست الشريعة وقدّمت الذبائح. فوالده كان غنيًّا جدًّا ويقدّم القرابين لله قائلًا في قلبه: «لتكن خيراتي للشعب كلّه، من أجل مغفرة خطاياي لدى الله، ليشفق الربّ عليّ».

كذلك حنّة والدة العذراء مريم هي ابنة الكاهن متان من قبيلة هارون ولكنّها كانت حزينة بسبب عقرها، لأنّ العقر حُسِبَ عند اليهود عارًا ولعنة من الله، فيما الولادة تعني تأمين النسل لمجيء المسيح المنتظر.

صلّت حنة إلى الربّ قائلة: «يا إله آبائي، باركني واستجبْ صلاتي، كما باركتَ أحشاء سارة ورزقتها إسحق ابنًا».

فإذا بملاك الربّ يقول لها: «يا حنّة، إنّ الله سمع صلاتك؛ سوف تحبلين وتلدين، ويكون نسلك مشهورًا في العالم بأسره».

فأجابت حنّة قائلة: «ليحيَ الربّ إلهي؛ سواء كان صبيًّا أم بنتًا ما ألده، فسوف أقدّمه للربّ، وسوف يكرّس حياته للخدمة الإلهيّة». وحبلت حنّة، وفي الشهر التاسع فولدت بنتًا، وسمّتها مريم وشكرت الله قائلة: «نفسي ابتهجت هذه الساعة».

ليتورجيا العيد:

تراتيل العيد مليئة بالفرح والتهليل والحبور:

«هذا هو يوم الرب فتهللوا يا شعوب....».

«اليوم ظهرت بشائر الفرح لكل العالم...».

«اليوم حدث ابتداء خلاصنا يا شعوب...».

«... لتتزين الأرضيات بأفخر زينة، ولترقصن الملوك طربًا، لتسرن الكهنة بالبركات، وليعيّدن العالم بأسره..»

ولقراءات العيد أهميّة كبيرة فهي تربط بين العهدين القديم والجديد:

– القراءة الأولى: السلم المنتصبة (تكوين ٢٨:١٢-١٤) « ورأى (يعقوب) حلمًا واذا سُلَّمٌ منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهوذا الرّب واقف عليها فقال انا الرّب إله ابراهيم ابيك وإله اسحق».

العذراء مريم هي السُلَّمُ الذي بها انحدر الإله.

القراءة الثانية: **باب المقدس المغلق** (حزقيال ٤٤:١-٢) : « فقال لي الرّب هذا الباب يكون مغلقًا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرّب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقًا ».

تشير هذه القراءة بحسب تفسير الكنيسة الأرثوذكسيّة إلى بتولية مريم الدائمة (قبل وأثناء وبعد الولادة) وأمومتها المعجزة البيان والوصف.

– القراءة الثالثة: **الحكمة وبيتها** (أمثال ٩ —١): « الحكمة بنت بيتها ونحتت أعمدتها السبعة وذبحت ذبائحها ومزجت خمرها وهيأت مائدتها وأرسلت جواريها تنادي على متون مشارف المدينة ».

يشير هذا النص بحسب تفسير الكنيسة الأرثوذكسيّة بآبائها القدّيسين إلى العذراء مريم البيت الذي بناه الله، الحكمة الفائقة ودعوة البشر إلى مائدة الرّب.

لاهوت العيد:

تقول إحدى ترانيم صلاة السَّحَرِ:« يا لَلْعَجَبِ الباهر، فإن الثمرة التي برزت من العاقر بإشارة خالق الكل وضابطهم قد أزالت عُقْمَ العالم من الصالحات بشدة بأس....».

فكما أن يواكيم وحنة هما صورة العالم العقيم، كذلك مريم هي صورة العالم الجديد المُخْصِبِ، صورة الكنيسة التي لا تشيخ.

فرحنا بولادة مريم العذراء هو سرور وفرح بالرّب يسوع الذي سيولد منها. فالمسيح الذي جعل مريم أم الحياة بالروح القدس وأضحت أم النور، يجعل الكنيسة أيضًا ينبوع الحياة.

هذا الأمر كثيرا ما ننساه فنعامل والدة الإله وكأنها قائمة في ذاتها، مجرّدة عن دور الله في حياتها.

ولكنّ الكنيسة تسمّي مريم «والدة الإله» في التراتيل والأناشيد الكنسّية كلّها، وهكذا تظهر في الأيقونات دائمًا مع الرّب يسوع باستثناء حالات خاصة جدًا.

نهايةً، احتفال الكنيسة بولادة مريم والدة الإله هو إعلان الفرح بولادة فجر الخلاص، لأنّ الّتي وُلدَت من عاقرَين أحبّت الله وكرّست ذاتها له، فقبلَت أن تطيع تدبيره الخلاصيّ لتلد المسيح للعالم.

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ سُئِل القديس :«كيف ينبغي أن يتوب الخاطىء؟!» .

فأجاب قائلًا:

✝ – أن يتشبَّه الخاطىء بقول داود التائب، والنادم بشدّة: «أبغضت الشرّ ورذلته وناموسك أحببته» (مزمور ١١٨).

«أُعوّم في كل ليلة سريري بدموعي» (مزمور ٦:٦).

✝ – وأن يتضاعف برّه، كما فعل زَكّا العشّار (لو١٩:٨).

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«ما هي الثمرة الموجبة للتوبة ؟!» .

فأجاب:

✝ – هي أعمال البِرِّ والخير المضادة للخطيئة، لأنَّ التائبين يثمرون بكل عمل صالح بالمسيح يسوع، كما هو مكتوب .

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«إنَّ الذي يعترف بفمه فقط بالتوبة ولا يترك الخطيئة، كيف يكون أمره ؟!» .

فأجاب:

مكتوب: «أنه إذا سألك عدوّك بصوتٍ مرتفع، فلا تسمع منه، لأنّ سبعة شرور في قلبه. وكما أنّه إذا عادَ كلبٌ إلى قيئه تكرهونه، كذلك الذي يعود إلى الخطيئة بعد أن تركها، يكرهه الله» !! (ويستحق عذابًا أبديًا).

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«الذي يُريد أن يعترف بخطاياه: هل يجب عليه أن يُظهرها أمام كُل أحد ؟!» .

فأجاب:

✝ – الخطيئة هي مخالفة الله، وهو يريد توبة الخاطىء، «فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. وَلاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا لإِبْرَاهِيمَ.» (لو٣:٨). وثمرة التوبة، هي الاعتراف بها للذين اؤتُمِنُوا على ممارسة أسرار الله (آباء سر الاعتراف في الكنيسة).

«وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ.» (مرقس ١:٥).

«وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ» (اعمال ١٩:١٨).

❁ وسؤال عن الذي يتوب عن الخطية، ثمَّ يعود ليسقط فيها دفعة أُخرى، ما موقفه ؟! .

فأجاب القديس:

✝ – بأنَّ من يفعل الخطية (من قلبه) كالذي يقطع أغصان الشجرة، ويترك الأصل ثابتًا في الأرض، فيعود ينبت من جديد (**ملحوظة: ضرورة الابتعاد عن مكان العثرة، وأشخاصها وظروف السقوط فيها**).

✝ – وبعض الخطايا تتولَّد من خطايا أُخرى، كالحسد والعناد والمقاومة وقساوة القلب والغضب.

✝ – فالذي يُحب مجد الناس، إذا رآهُم يمجّدون غيره – **أكثر منه** – يحسده ويقاومه؛ ويجب أن يقطع الأصل بالتواضع، الذي يثبُت بملازمة الأمور المحتقرة، وهكذا ينبغي أن نصنع في باقي الخطايا.

❁ وسُئِل القديس :«ما هو الفكر الذي ينبغي للرئيس أن يجعله في قلبه، عندما ينتهر أخًا ؟!» .

فأجاب:

✝ – أمَّا قُدَّام الله، فكقول **داود النبي**: «رأيت الذين لا يفهمون فحزنت،لأنهم لأقوالك لم يحفظوا».

✝ – وأما في الذين ينتهرهم ويوبّخهم، فيكون في حنان الآباء على بنيهم، ومثل طبيبٍ يعالج ابنه.

المجمع المسكوني الرابع
أو مجمع خلقيدونية ٤٥١م

مقدّمة:

في عام ٤٥١م اجتمع في مدينةِ خلقيدونية (في القسم الشرقي من تركيا حاليًا) ٦٣٠ من آباء الكنيسة جمعاء لمعالجة موضوع عقائدي وجوهري وإيماني يتعلّق بالرّب يسوع المسيح. لذا عُرف بمجمع خلقيدونية.

نَجَمَ عن هذا المجمع **انشقاق الأقباط والأرمن والسريان** عن **الكنيسة الروميّة** وبالتالي فسخ الشراكة معها.

المعارضون لهذا المجمع رفضوا أن يُطلق اصطلاح «طبيعتين» على الرّب يسوع المسيح، إذ كان اصطلاح طبيعة يوازي عندهم «شخص»، وبالتالي لا يمكن بالنسبة لهم أن يكون الرّب يسوع شخصين متّحدين مع بعضهما ، وخاصةً أن مقولة **القدّيس كيرلس** (٤١٢-٤٤٤م) بأنّه هناك «طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد» كانت سائدة بقوّة.

يتكلّم الباحثون التاريخيّون بأنّه هناك عدّة عوامل أدّت إلى هذا الانشقاق، فبالإضافة إلى الخلاف اللغويّ هناك عوامل إتنيّة وسياسيّة عدا عن النزعة الاستقلاليّة التي كانت سائدة في المناطق **الأرمنيّة والسريانيّة والإسكندرانيّة عن الإمبراطوريّة الروميّة**، كما يمكن إضافة العوامل التي نتجت عن المجمع الذي انعقد في **أفسس** عام ٤٤٩م ويُعرف **بالمجمع باللصوصي**.

أكدّت **الكنيسة في هذا المجمع** إيمانها بوحدة شخص المسيح وبـ «الطبيعتين في المسيح»، الطبيعة الإلهيّة الكاملة والطبيعة الإنسانيّة الكاملة.

– الأسباب الداعية لعقد المجمع:

أعلن **افتيخيوس**، وهو كان **رئيس دير في القسطنطينيّة** يضم أكثر من ٣٠٠ راهبًا، يدعمه **ديوسقورس بطريرك الإسكندرية**، أنّ طبيعتَي المسيح، الطبيعة الإلهيّة والطبيعة الإنسانيّة، اتّحدتا وصارتا بعد تأنّسه **طبيعة واحدة**، إذ **ابتلعت الطبيعة الإلهيّة الطبيعة الإنسانيّة**.

وبرّر **افتيخيوس** قوله هذا مستندًا إلى عبارة استعملها القدّيس كيرلّس الإسكندريّ: «الطبيعة الواحدة المتجسّدة للإله الكلمة».

وقد يكون لسوء الفهم اللغويّ بين مسيحيّي تلك الأيّام (وبخاصّةٍ في القسطنطينيّة وأنطاكية والإسكندرية)، قد ساهم في **تغزية** الإنشقاق الذي نتج عن هذا المجمع، عدا عن عوامل سياسيّة وإتنيّة أخرى.(**تغزية** = تكاثر وازداد – غزرتِ البضائعُ الأسواقَ : تكاثرتْ وتدفّقت).

آمن **افتيخيوس** بوجود طبيعتين للمسيح قبل التجسد (**ربما يكون قد شايع اوريجنس الإسكندري في نظريّة الوجود الأزلي للأرواح**)، غير أنّه لم يعترف سوى **بطبيعة واحدة بعد التجسد** معتقدًا بأن اللاهوت قد امتص الناسوت الذي ذاب في اللاهوت كما تذوب نقطة عسل عندما تسقط في محيط من الماء.

– كيرلس وتعبير الطبيعة الواحدة:

لا ريب أنّ **القدّيس كيرلّس** كان يقصد بلفظ «طبيعة» (فيسيس باليونانيّة) الشخص الواحد، إذ كان يقول إنّ يسوع هو «طبيعة واحدة» مكوّنة من عنصرين، عنصر إلهيّ وعنصر إنسانيّ، أي إنّ يسوع هو «كائن فرد»، «شخص واحد»، إله وإنسان معًا.

أمّا في **أنطاكيّة والقسطنطينيّة**، فكان لفظ «طبيعة» يعني الخصائص التي تحدّد الكائنات وتميّزها بعضها عن بعض. ففي هذا المعنى تتميّز الطبيعة الإلهيّة عن الطبيعة الإنسانيّة بالأزليّة والقدرة اللامتناهية من جهة، والخلق من العدم من جهة اخرى. وهذا ما درج إلى اليوم عن لفظ «طبيعة»، أي إنّ الخصائص والميّزات التي يتمتّع بها أيّ كائن هي التي تحدّد طبيعته.

– مجمع القسطنطينية ٤٤٨م:

في مجمع عُقد في **القسطنطينية** العام ٤٤٨م رئسه **فلافيانوس** رئيس أساقفتها، قدّم **اسابيوس** أسقف مدينة «دورله» شكوى مكتوبة، قبلها **فلافيانوس**، **ضد تعاليم افتيخيوس يتّهمه فيها بالهرطقة**.

وكان **اسابيوس** قد اطّلع على مجلّد من ثلاثة أجزاء عنوانه «**الشحاذ**» (**والمقصود افتيخيوس**)، وضعه ثيودوريتوس أسقف قورش (الذي سيدين المجمع المسكوني الخامس كتاباته ضد كيرلس)، وقام بنشره في العام ٤٤٧م، والذي على أساسه اعتبر أن **تعاليم افتيخيوس غير أرثوذكسيّة**.

أثبت هذا المجمع **انحراف رأي افتيخيوس وَجَرَّدَهُ من رتبته الكنسيّة والرهبانيّة وقطعه عن الشركة**، ولكن **افتيخيوس**، الذي لم يرتدع، رفع قضيّته إلى **مجامع رومية والإسكندريّة وأورشليم** لإنصافه، ممّا جعل أن **ديوسقوروس بطريرك الاسكندريّة** ان يتخذ، في مجمع محلي، قرارًا

اعترف فيه **بدرجات افتيخيوس الكهنوتيّة** وأعاده إلى ديره.

غير أن **لاون بابا رومية** – **على عكس قرار الإسكندريّة** – وافق على أعمال مجمع القسطنطينيّة (٤٤٨م)، وأصدر رسالة مجمعيّة شهيرة دان فيها **هرطقة افتيخيوس**، وشرح قضيّة أقنوم الكلمة الإلهيّ الواحد في طبيعتين.

– مجمع أفسس ٤٤٩م (المجمع اللصوصي):

من المعروف أن **افتيخيوس** كان مقرّبًا من **الإمبراطور ثيوذوسيوس** بسبب **كريسافيوس وزيره**، لأن **افتيخيوس** كان عرّاب **كريسافيوس** في المعموديّة (شبين)، وعليه فقد استطاع إقناع **الإمبراطور** بدعوة مجمع آخر للبحث في تعاليمه، وتمّ ذلك **في افسس** في السنة ٤٤٩م.

رَئس هذا المجمع بطريرك الإسكندريّة ديوسقوروس الذي تمكّن من فرض رأيه على الآباء ال ١٣٥، وذلك بمؤازرة **أساقفة مصر المتحيّزين لافتيخيوس وقوّة سواعد زمرة من الرهبان المتعصّبين يتزعمهم برسوم السوري**.

برر المجتمعون **افتيخيوس** من كلّ التهم التي أُلصقت به، وحرموا بعض الأساقفة مناوئيه مثل **فلافيانوس بطريرك القسطنطينيّة** –الذي رقد بعد أيام معدودة وهو في طريقه إلى منفاه متأثرًا بجراحاته بسبب الضرب الذي انهال عليه في إحدى جلسات المجمع – **ودمنوس الأنطاكي وثيودوريتس القورشي**.

استطاع موفدو روما الهرب إلى بلادهم حاملين الاستدعاء من ضحايا هذا المجمع إلى **لاون الكبير** الذي سارع إلى عقد مجمع في رومية ودعا مجمع افسس بـ «**المجمع اللصوصي**».

حاول أساقفة رومية مرارًا عديدة إقناع **الإمبراطور ثيوذوسيوس** بعقد مجمع مسكوني في إيطاليا، غير أن محاولاته كلّها باءت بالفشل.

– إلتئام المجمع:

في السنة ٤٥٠م رقد **الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني** فخلفته **بوليخاريا شقيقته** التي وافقت على الزواج من **مركيانوس قائد جيشها** لمشاركتها بإدارة المملكة شريطة أن تبقى عذراء.

أرجع **مركيانوس الأساقفة المنفيّين** واستجاب لطلب **البابا لاون**، فدعا إلى مجمع في مدينة «خليقدون» اعتبرته **الكنيسة الشرقيّة والغربية المجمع المسكوني الرابع**.

التأم مجمع خليقدونية في السنة ٤٥١م وشارك فيه ٦٣٠م أسقفًا، **أبطلوا جميعهم مجمع افسس اللصوصي**، ودانوا **هرطقتي افتيخيوس ونسطوريوس معًا، وحرموا ديوسقوروس أسقف الإسكندريّة** لتمنُّعه عن المثول أمام المجمع، على الرغم من دعوته ثلاث مرات إلى الحضور، **وتاليًا لتحيّزه وعدم أخلاقيته اللذين أظهرهما في مجمع أفسس**.

قابل **الآباء بحرارة رسالة لاون** التي حال **ديوسقوروس** – في مجمع افسس (٤٤٩م) – دون قراءتها، **وفيها يُفرّق لاون بوضوح خالص بين الطبيعتين** – يشرح بوضوح وجود الطبيعتين في الأقنوم الواحد. وأعربوا عن **إيمانهم بالابن الواحد** «الكامل من حيث الوهيته والكامل من حيث إنسانيته، الإله الحقّ والإنسان الحقّ» واعترفوا «باتّحاد الطبيعتين اتّحادًا جوهريًا بلا انقسام ولا انفصال ولا اختلاط... وبأنّه اتّحاد حقيقي في الجوهر والتركيب».

«في المسيح اقنوم واحد مؤلَّف من طبيعتين متميّزتين: اللاهوت والناسوت».

ومن أهمّ ما ورد في هذا التحديد:

«إنّ المسيح هو نفسه تامّ في الألوهة وتامّ في البشريّة، إله حقّ وإنسان حقّ. إنّه مساوٍ للآب في الألوهة ومساوٍ لنا في البشريّة، شبيه بنا في كلّ شيء ما خلا الخطيئة. قبل كلّ الدهور وُلد من الآب بحسب الألوهة، وفي الأيّام الأخيرة هو نفسه، لأجلنا ولأجل خلاصنا، وُلد من مريم العذراء والدة الإله، بحسب البشريّة. واحدٌ هو، وهو نفسه المسيح، ابن الله، الربّ، الذي يجب الاعتراف به في طبيعتين متّحدتين دون اختلاط ولا تحوّل ولا انقسام ولا انفصال. وهو لم ينقسم ولم ينفصل إلى شخصين، بل واحدٌ هو، وهو نفسه الابن الوحيد، الإله الكلمة، الربّ يسوع المسيح».

*** في هذا التحديد الخلقيدونيّ أعاد الآباء التشديد على دستور الإيمان. كما شدّدوا على أمرين هامّين في ما يختصّ بشخص يسوع المسيح:**

– **الأوّل**، وحدة الشخص في السيّد المسيح، وهذا ما تدلّ عليه إشارة «واحدٌ هو، وهو نفسه»؛ فيسوع شخص واحد، وهو نفسه كلمة الله الأزليّ المولود من الآب قبل كلّ الدهور والمولود من السيّدة مريم في البشريّة.

– **الثاني**، محافظة كلّ طبيعة من الطبيعتين على خصائصها في وحدة الشخص.

فالكلمة صار بشرًا واتّخذ الطبيعة البشريّة كلّها ما خلا الخطيئة، دون أن يتخلّى عن طبيعته الإلهيّة.

برّأ مجمع خليقدونية ثيودوريتس القورشي وإيفا الرهاوي وبعض الأساقفة الآخرين، وذلك بعد تأييدهم قطع **نسطوريوس** واعترافهم بان **مريم هي والدة الإله** وإنكارهم تقسيم الابن الوحيد إلى اثنين.

وسن المجمع ثلاثين قانونًا، أشهرها القانون الثامن والعشرون المتعلّق بالمساواة بالكرامة بين أسقفي روما القديمة وروما الجديدة (القسطنطينيّة)، وحرّر أورشليم من سلطة القيصريّة وأعطاها المرتبة الخامسة بين الكنائس الكبرى.

– الخاتمة:

مع أنّ هدف الآباء الخلقيدونيّين بتّ مسألة وحدة الشخص في المسيح مرّة وإلى الأبد، مع التشديد على الطبيعتين فيه، بقيت الكنائس الشرقيّة ذات **التقليد القبطيّ والأرمنيّ والسريانيّ** تعتبر الألفاظ المستعملة في هذا المجمع تشير إلى وجود «شخصين في المسيح»، وهذا بالضبط ما رفضه الخلقيدونيّون رفضًا باتًّا، بتأكيدهم وحدة الشخص في المسيح.

مِن هنا الأفضل عدم إطلاق على تلك الكنائس أنّها **مونوفيزيّة**، أي «**القائلة بالطبيعة الواحدة**» بل استعمال تعبير «**غير خلقيدونيّة**» لحين إزالة كلّ الإشكالات.

رجاؤنا كبير بأن ترى أعيننا دفن هذا الخلاف بين الكنائس والتعيّيد للوحدة.

– القديسة أوفيميّة والمجمع الرّابع:

لمّا اجتمع الآباء الستمائة والثلاثون في المجمع المسكوني الرابع (خلقيدونيا ٤٥١م)، بهمّة الإمبراطورين التقيين مرقيانوس وبلخاريا، في البازيليكا الفسيحة **للقدّيسة أوفيمية**، كان سَعي الآباء دحض **الآراء الهرطوقيّة للأرشمندريت أفتيخيوس المدعوم من رئيس أساقفة الإسكندريّة ديوسقوروس**.

والتماسًا لحكم قاطع من الله في هذا الشأن اقترح **البطريرك القدّيس أناتوليوس** أن يحرّر الفريقان كتابًا لكلّ منهما يتضمّنه دستور إيمانه الخاص به، وأن تُجعل الوثيقتان في الصندوق الذي يضمّ جسد القدّيسة أوفيميّة.

فلمّا وُضع الكتابان على صدر القدّيسة خُتم الصندوق وانصرف الآباء إلى الصلاة. بعد ثمانية أيام عاد الجميع إلى المكان. فما أن فتحوا الصندوق حتى اكتشفوا أن القدّيسة كانت تضمّ كتاب الإيمان الأرثوذكسي إلى صدرها، فيما وُجد **كتاب الهراطقة عند قدميها**.

وثمّة رواية قديمة أخرى لِما حدث مفادها أنّ الآباء جعلوا الوثيقتين في الصندوق، للحال مدّت القديسة يدها وأخذت كتاب الإيمان القويم وقبّلته وسلّمته إلى الآباء.

وفي الرسالة التي كتبها **آباء المجمع للقدّيس لاون الأول الرومي** قالوا:

«إنّ القديسة الشهيدة أوفيميّة إذ اقتبلت منّا التحديد العقيدي، قدّمته إلى عريسها بوساطة الإمبراطور والإمبراطورة باعتباره الإيمان الذي تدين به، فثبّتت باليد واللسان المرسوم الموقّع من الجميع».

*** اختار آباءُ الكنيسة لإنجيلِ اليوم بمناسبة هذا المجمع قولَ المسيح التالي:**

«أنتم نورُ العالم».

كلمةُ نورِ العالم كلمةٌ كبيرةٌ وهامةٌ وعظيمةٌ. دون نورٍ لا تنتفع أعيننا من الرؤية، الرؤيةُ تحتاجُ إلى نورٍ، هنالك الشمسُ وهنالك الكواكبُ وهنالك الأنوارُ الساطعةُ بوساطة الكهرباء كلّها تعطي نورًا، وكلّ هذا آتٍ مِن أنّ الله يوم خلقَ العالم خلقَ فيه نورًا.

ولكن النور المقصود اليوم هو نورٌ إضافيٌّ استثنائيٌّ يكشفُ لنا أنّ الإنسانَ الذي يُرى بنورٍ يشعُ منه هو إنسانٌ يحملُ الله، يحملُ المسيحَ، وبداخله نورُ الألوهة التي أعطت النورَ وهي التي نحتاجها اليوم لتكون النورَ، مِن أجل أن نرى من خلالها بعضنا البعض.

يقول الرب يسوعُ المسيح متابعًا لآيته الأولى «أنتم نور العالم» «هكذا ليضئ نوركم قدّام الناسِ ليروا أعمالكم الصالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السماوات».

نحن أدواتٌ أيضًا نساعدُ الآخرين بالنور الذي نحمله لكي يتواصلَ مع مصدره الذي هو الله الآب فيمجّدونه ويسبّحونه، وهكذا نحيا كعائلةٍ حقيقيةٍ، الله في السماء أبونا وربّنا وملهمنا ونحن كأعضاء لأسرته بعضنا مع بعض نتحابب ونخدم ونلبّي طلبات بعضنا ببقلوبٍ نقيةٍ وأيادٍ نظيفة.

على هذه الصورة نكون قد حققنا إرادة الله.

الإنجيلُ هذا وُضع من أجل وصفٍ لهؤلاء الآباء ٦٣٠ الذين شكّلوا **المجمع الخلقيدوني ، المجمع المسكوني الرابع**، أي أنّهم كانوا حقًّا نوراً للعالم، ونحن بحسب تعليمهم الذي علّموه، الذي أعطونا إيّاه والذي نسير على سنّته، هو آتٍ من الاستنارةِ الحقيقيةِ مِن ذاك النورِ الذي ألهم عقولهم وقلوبهم لكي يخطّوا لنا العقيدة المسيحيّة والطريقَ نحو الملكوت.

فلنكن مقتدين بهم، وليكونوا هم دائمًا قدوةً لنا من خلال المسيح الساكن فيهم ليسكن فينا.

«لم يصر أحد قط مُقدسًا، أو تلقى الروح القدس، أو عاين الله، أو اختبر سكناه في داخله، من دون التوبة السابقة، والانسحاق، والدموع المستمرة التي تتدفق كأنها من ينبوع. مثل هذه الدموع، تفيض وتغسل بيت النفس، تُرطب وتُنعش النفس المملوكة للنار (النور) الذي لا يدنى منه والمشتعله به»

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

رؤية القدّيس «أرسانيوس بوكا»

وُلد **القدّيس أرسانيوس بوكا** عام ١٩١٠ في قرية صغيرة في رومانية. كان والداه، «يوسف وكريستينا»، تقيَّين مُحبَّين لله. عندما كانت أمّه حُبلى بالطّفل يوحنّا (كان هذا اسم أرسانيوس في المعموديّة)، كانت تحلم بشكل متكرّر أنّ الشّمس أو القمر يشعّان من بطنها، وكانت تفتكر في نفسها ما تراه يكون المولود منها؟!...

عندما كان أرسانيوس فتيًّا، رقد والده وأُجبرت أمّه أن تتزوّج ثانيةً. اضطرب يوحنّا كثيرًا من زواج أمّه الثّاني، وكان يبقى بعيدًا عن المنزل لأوقاتٍ طويلة. في نهاية المطاف التحق بأخويّة دير «**القدّيس قسطنطين بينكوفونو**» حيث جاهد بصبر لتنقية نفسه وصعود المراقي الرّوحيّة. وقد منّ عليه الرّبّ الإله بنعمة الرّوح القدس واقتنى موهبة معرفة المستقبلات.

اشتهر القدّيس أرسانيوس، كمُعَرِّف ومرشدٍ روحيّ. عندما كان يلتقي أحدهم، كان هذا يشعر أنّ القديس يغوص إلى أعماق روحه ويكشف له مكنوناته. كان باستطاعته معرفة ما يجول في فكر محدّثه. وكثيرًا ما كان يخاطب زائره باسمه قبل أن يتعرّف به. وأثناء الاعتراف، كان يساعد المعترف على البوح بخطاياه إذ كان يكشف له تلك الّتي لم يذكرها متنبئًا له ببعض الأحداث المستقبلة.

كان يتضايق ويُعنى كثيرًا بالنّاس الّذين يعرّفهم ويرفضون أن يغيّروا طريقة حياتهم، بل يؤثرون المضيّ في ارضاء شهواتهم. كان القدّيس أرسانيوس موقنًا أنّه سَيُحَاسَب من أجل خلاص نفوسهم في يوم الدّينونة. لذلك كان يتوسّل إلى الله كي يكشف له السّبب الّذي كان يدفع النّاس إلى **رفض التّخلّي عن خطاياهم**.

ذات يوم، عندما كان جالسًا في الحديقة يُجيل النّظرَ بالجبال المحيطة به، لاحظ غيمةً سوداء كبيرة على قمّة الجبل. كان يصدر منها ضجيج وأصوات. وإذ حدَّقَ بها بإمعان، شاهد الغيمة تنفصل إلى قسمين وعند قمة الجبل عرشًا ملكيًّا مُحاطًا بنار. على العرش كان جالسًا **عدوّ الإنسان، إبليس**، تُحيط به **جمهرة من الشّياطين**. وكان القدّيس أرسانيوس يتابع بتدقيق مُجريات الأمور فسمع **الشّيطان** يقول:

«**من منكم حذق بما فيه الكفاية وباستطاعته إيجاد فكرة شرّيرة وماكرة يبثّها في أذهان النّاس كي نجذبهم ونستميلهم إلينا... فنُقيم مملكة أكبر وأعظم من ملكوت الله،لأنّه لم يبقَ لنا سوى وقتٍ قليل.؟!**».

إذ ذاك اقترب أحد الأبالسة وسجد لمعلّمه إلى الأرض وقال: «**يا جلالة زعيم الظّلمات، أرى أنّه من الجيّد أن نهمس في آذان النّاس أنّ لا إله!**».

فأجابه إبليس: «**لستَ شرّيرًا بما فيه الكفاية، لأنّه بإمكاننا كسب عددٍ أكبر من الأرواح بطريقة مختلفة. فليُقدّم لنا آخر فكرة مبتكرة!**».

فجاء ثانٍ وقال: «**يا جلالة زعيم الظّلمات، أقترح أن نهمس لهم أنّ هناك إلهًا، ولكن ليس هناك لا جنّة ولا جحيم، وأنّ حياتهم هذه تنتهي بكل بساطة عند قبرهم!**».

تأمّل الشّيطان بالفكرة بإمعان ثمّ قال: «**هذه الفكرة الشّرّيرة ليست كافية أيضًا، ولن تخوّلنا الفوز بنفوس كثيرة، لأنّ النّاس سيتذكّرون أنّ** المسيح قال عندما كان صاعدًا إلى السّموات: «في بيت أبي منازل كثيرة، وإلّا فإنّي كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعدّ لكم مكانًا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانًا آتي أيضًا وآخذكم إليّ، حتّى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٤: ٢-٣). **إنّ إيمان النّاس بهذه الكلمات راسخ جدًا وسيُبطل مخطّطنا، وسيستمرّ النّاس بالاعتقاد أنّ الله سيكافئهم بحسب أفعالهم... فليعطني آخر فكرة أكثر حذاقة!**».

عندها تقدم إبليس ثالث وسجد لمعلّمه إلى الأرض وقال: «**يا جلالة زعيم الظّلمات، أجد أنّه من الأفضل لنا أن نطوّب النّاس لأجل إيمانهم بالله، وإيمانهم بالجنّة والجحيم، وانتظارهم للدّينونة الأخيرة. ولكن في الوقت عينه فلنهمس في آذانهم**: «لا تُسرعوا إلى التّوبة. دعوا التّوبة إلى أيّامكم الأخيرة. فالموت ما زال بعيدًا. تمتّعوا الآن بحياتكم وأرضوا كلّ شهواتكم الجسديّة، لأنّه ما زال لديكم وقت كثير!». **وهكذا، ونحن نخدعهم ونبهرهم بإيحاءاتنا، يشيخون من دون أن ينتبهوا للأمر، ويبلغون نهاية حياتهم وهم لم يتوبوا!. فيوافيهم الموت بغتةً وهم غير مستعدّين، فنقبض على أرواحهم إلى الأبد!**».

أومأ الشّيطان برأسه راضيًا بالاقتراح!. ثمّ نَخَرَ وَصَرَّ بأسنانه بفرحٍ شيطانيّ وحثّ الجميع بحرارة على أن يذهبوا ويعملوا تمامًا كما أوعز لهم زميلهم!.

لهذا السّبب يُتمم المسيحيّون واجباتهم بفتور وبشكل سطحيّ، لأنّ الشّيطان يحثّهم طيلة حياتهم على إتمام رغباتهم والنّاس يطيعونه!. لا يريدون أن يغيّروا طرقهم بل يستمرّون بإرضاء شهواتهم وما تمليه عليه طبيعتهم السّاقطة، متجاهلين نصائح الكنيسة في ما يخصّ التّوبة الحقيقيّة، حتّى في شيخوختهم...

عندما روى «القدّيس أرسانيوس» هذه الرّؤية تنبّأ أنّه ما زالت لديه ثلاثة مواسم فصحية يحتفل بها... وفعلًا رقد بالرّب بعد ثلاث سنوات. وقد تنبّأ بسقوط النّظام الشّيوعيّ في رومانيا وثورة الشّعب الرّومانيّ على النّظام الملحد. وقد بقي حاضرًا في نفوس العديد من أبنائه الرّوحيّين الّذين استمرّ بإرشادهم حتّى بعد رقاده.

وثمّة عجيبة تتردّد طيلة السّنة على **قبر القدّيس في دير «بريسلوب» للرّاهبات**، وتجتذب الآلاف من أبناء الإيمان إليه. وإنّ الورود الّتي أزهرت على قبره لا تذبل ولا تتجمّد رغم الحرارة المتدنّية إلى ما دون العشرين درجة مئويّة تحت الصّفر في الشّتاء، وهي دائمًا مفتّحة نضرة!.

فلتكن صلوات «القدّيس أرسانيوس»، خادم المسيح الّذي لا يكلّ، معنا أجمعين نحن الخطأة...

بين الأرثوذكس والأقباط

الالتباس اللاهوتي وامتداده الرعائي

الأب أنطوان ملكي

إن العلاقة بين **الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين** ملتبسة منذ ثمانينيات القرن الماضي، وقد عملت دوائر حوارية عديدة في الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على تسخيف الخلاف العقائدي الخريستولوجي الذي دام خمسة عشر قرنًا، ببثّ الاعتقاد بأنّ الخلاف مع **غير الخلقيدونيين** هو خلاف لفظي وحسب. لطالما شكّل هذا الكلام التباسًا يأخذ بُعدًا أكبر في أيامنا هذه، خاصةً مع الفوضى الناتجة عن سهولة النشر والتواصل الإلكترونيين.

في مكتبتنا العربية دراسة، هي الأهمّ في العالم الأرثوذكسي، حول الفرق اللاهوتي بين **الأرثوذكس وغير الخلقيدونيين**، كتبها **العلّامة الآبائي جان كلود لارشيه**، نقلها إلى العربية **الأب الدكتور يوحنا اللاطي**، راجعها ودقق فيها **الأرشمندريت توما بيطار**، هي في الأصل مقال منشور في *Le Messager Orthodoxe* العدد ١٣٤ منشورات *ACER* في باريس، وقد صدرت بالعربية عن عائلة الثالوث القدوس، أوراق ديرية ٧، سنة ٢٠٠٤، بعنوان «**المسألة المسيحيانية في شأن مشروع اتّحاد الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس غير الخلقيدونية: مشكلات لاهوتية وكنائسية معلّقة**». يؤكّد الكاتب في خاتمته: «**ليس الحوار بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس اللاخلقيدونية بجديد... أنشئت مشاريع اتحاد عدة على مرّ القرون إلى أيامنا هذه. يبيّن التاريخ لسوء الحظ أن المناهضين لخلقيدونيا (باستثناء الكنيسة الأرمنية) ما غيّروا قط في مواقفهم، وأن كل الخطوات إلى الأمام باتجاههم قامت بها الكنيسة الأرثوذكسية، الأمر الذي أدّى في حالات كثيرة إلى أن يقترب عدد ليس بقليل من رؤساء الكهنة من الهرطقة...**».

إن حجم الدراسات والمواقف الأرثوذكسية الرزينة والمستندة إلى الآباء القديسين كبير، لكنه لا يحظى بالدعم «**السياسي**» الكافي لنشره بين المؤمنين وتحصينهم ضد العواطفية التي تجعلهم يعتقدون بإمكانية الوحدة أو التقارب من دون العقيدة والحق. يزيد هذا الواقع من الالتباس في هذه العلاقة، خاصةً عندما ينتقل الالتباس من المستوى اللاهوتي إلى المستوى الرعائي، فيتحوّل الالتباس خطرًا. وما يزيد الخطر هو تمسّك **غير الخلقيدونيين** بمواقفهم التاريخية بمقابل **التراخي الأرثوذكسي**.

كمثال على أن **الأقباط** لم يتزحزحوا عن تعاليمهم عدد من الفيديوات المنتشرة **للبابا شنودة** وغيره يشرحون فيها عقيدتهم. في واحد منها بعنوان «**شرح مجمع خلقيدونية وطبيعة السيد المسيح، ١٩٨٩**» يشرح **شنودة تعليم الأقباط** عن الطبيعة المركّبة مستعملًا عبارات تخالف بشكل لا لُبس فيه تعليم الأرثوذكسية عن الطبيعتين فيقول: « **لا نستطيع من بعد الاتحاد أن نتكلّم عن طبيعتين. إنما طبيعة واحدة بعد الاتحاد... لما اكتمل الجنين اصبح طبيعة واحدة...**»[١] هذا الكلام يردّ عليه حرفيًا **تعليم القديس يوحنا الدمشقي «لا سبيل للكلام عن طبيعة واحدة في ربنا يسوع المسيح... فإننا نقول بأن الاتحاد صائر من طبيعتين كاملتين...»** (المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، منشورات المكتبة البولسية، ص. ١٥٦).

عليه، سوف نتطرّق إلى موضوع هذا الالتباس عبر ملاحظات رعائية نضعها تحت ثلاثة عناوين:

١) أثر شبكات التواصل الاجتماعي.

٢) مساعي التقارب المستمرّة.

٣) الحوارات الشعبية.

١) أثر شبكات التواصل الاجتماعي

تنتشر عظات وأقوال الأنبا شنودة وغيره من الأنبايات كالنار في الهشيم. وما يشير إلى الخطر الرعائي أن العديد من الكهنة الأرثوذكسيين يساهمون بقوة في نشرها. ففيما تظهِر الإحصائيات ضعف المشاركة في المنشورات الإلكترونية ذات المصدر الأرثوذكسي، تظهِر تفوقًا كبيرًا في المشاركة في المنشورات ذات **المصدر القبطي**. إن قواعد الاتصال الجماهيري (*mass communication*)

تؤكّد خطأ هذه الممارسة حيث أن **مشاركة تعاليم من مصادر غير أرثوذكسية تشرّع هذه المصادر**. فعلى سبيل المثال، إذا شارك أحد الكهنة مع رعيته فيديو **لكاهن غير أرثوذكسي** يتحدّث صوابًا عن موضوع ما، ولم يُرفِق مشاركتَه بتعليم واضح حول صحة الكلام الوارد في الفيديو حصرًا من دون أن يشرّع مصدره، فإن أبناء الرعية، أو أقلّه بعضهم، سوف يشاركون فيديوات أخرى من المصدر نفسه لأنه صار محسوبًا مصدرًا شرعيًا. كمثالٍ نورد خبرًا من إحدى الرعايا، حيث شارك كاهنها رعيتَه فيديو **لكاهن قبطي** يتحدّث بدقّة عن موضوع أخلاقي، فأُعجب بعض أبناء رعية هذا الأب **بالكاهن القبطي** الذي كان متحدثًا لَبِقًا وصاروا من الزوار الثابتين لموقعه، وبعد فترة **صاروا يتكلّمون لغة الأقباط حول طبيعتي المسيح**.

فيما تمثّل هذه القصة خفّةً غير مقصودة في التعاطي إلّا إن الخفّة بشكل عام تجرّح كنيستنا على أكثر من مستوى. كمثال وفي إطار مشابه، عندما يرى المؤمنون أنّ مطارنة يشاركون في صلوات مشتركة بملابس الخدمة الكهنوتية، فإنهم يعتبرون أن المشاركة مع **غير الأرثوذكس** شرعية، فلا يتوانون عنها.

٢) مساعي التقارب المستمرّة

يقوم اليوم مسعى للتقارب مع **الأقباط** غير **متّضح الملامح بعد**. فعلى موقع حركة الشبيبة الأرثوذكسية بعنوان «**التقارب بين الكنيسة القبطية وكنيسة الروم الأرثوذكس خطة الاتحاد العالمي المسيحي للطلبة**»، بتاريخ ٢٤ أيلول ٢٠١٨، يرد الخبر التالي: «**بدعوةٍ من الاتّحاد العالمي المسيحيّ للطلَبة في الشرق الأوسط، وتحت عنوان الكنيسة والتربية: تحدّيات معاصرة (منطلقات من فكر كوستي بندلي المفكّر الكبير)**»، أُقيمت ٣ ندوات في مصر حاضر فيها الأخ الدكتور نقولا لوقا وذلك في ٢٠، ٢١ و٢٢ أيلول في «**خطوة تقارب بين الكنيسة القبطيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة**» (٢). هذا الخبر يطرح مجموعة من التساؤلات:

مَن يأخذ قرار التقارب، أهو المجمع الأنطاكي أم الاتّحاد العالمي المسيحيّ للطلَبة في الشرق الأوسط؟

هل وافق المجمع على هذا التقارب؟

ما هو الأساس العقائدي لهذا التقارب؟

ما هو الثمر الرعائي الذي سوف ينتج عن هذا التقارب؟

إذا كان هناك مشكلات لاهوتية وكنائسانية معلّقة بين الكنيستين، هل يكون علاجها وتخطيها بالحوار التربوي وبفكر كوستي بندلي، أم بحوار لاهوتي دقيق يقوم به لاهوتيون مُنتَدَبون؟

هذه المجموعة من الأسئلة، وطبعًا هناك غيرها، إنّما تظهِر عدم الوضوح والالتباس في العلاقة.

٣) الحوارات الشعبية

فيما الحوارات الشعبية قد تقرّب الناس من بعضهم إلى أنها متى تطرّقت إلى الأمور اللاهوتية تعمّق الالتباس المذكور أعلاه. نورد الحَدَث التالي **لتأكيد ضرورة أن يكون الموقف الأرثوذكسي ثابتًا في أرثوذكسيته**، وإلّا فإن أصحابه يساهمون من حيث لا يدرون في **انتشار الخطأ**.

نشرت مجموعة «**محبو كوستي بندلي**» على صفحتها في ١ أيلول ٢٠١٨، القول التالي للأستاذ بندلي، مأخوذًا من «فتات من نور»: ﴿ما يؤكد هذا الخفر الإلهي، الذي رأينا أنه سمة أساسية في تعاطي الله مع الكون، هو أنه، لما انحدر اليه، لم يتّخذ شكلًا فائقًا، بل شكل إنسان كسائر الناس، «آخذا صورة عبد ، صائرًا بشبه البشر»، وكأنه «أفرغ ذاته» من ألوهته (فيليبي ٢:٧). هكذا تواجد لديه أقصى الحضور، نتيجة حبه للكون، وأقصى التواري، نتيجة الحب عينه...﴾ ومن ضمن مساهمات القرّاء الطبيعية، جرَت المحادثة التالية حيث كتب أحد المشاركين **واسمه مارتن رأفت**: «**افرغ ذاته من الوهته.. الكلمة دي صعبة**» فردّ المسؤول عن الصفحة: «لهذا من الضروري أن نقرأها مع كلمة «كأنه» التي أثبتها الكاتب قبل هذه العبارة ونصِلها بالفكرة السابقة «آخذا صورة عبد»... فكان رد مارتن رأفت: «**يعني فالحقيقه هو لم يفرغ ذاته**». بنتيجة هذا الحوار، حذف المسؤول عن الصفحة المحادثة، لكن يمكن الوصول إليها من محفوظات فايسبوك. جدير بالذكر أن زيارة صفحة **مارتن رأفت تظهِر أنه قبطي ملتزِم**.

ما معنى هذه المحادثة؟ يعبّر بندلي عن التعليم الأرثوذكسي حول إفراغ السيّد لذاته واتّخاذه الطبيعة البشرية، استنادًا إلى تعليم الرسول بولس في الآية المذكورة التي تقول حرفيًا: «لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ». زيادة كلمة «كأنه» غير الواردة في الآية أصلًا هي خطأ. إن كانت هذه الزيادة مقصودة نستنتج أن بندلي يعلّم **غير ما** تعلّمه الكنيسة. **وإن كانت هذه الزيادة هفوة لغوية، فيعني أنه يفتقد للدقة في أمور حساسة لا تحتمل الهفوات**.

لا يهدف هذا المقال إلى مناقشة فكر بندلي بل الأكيد هو أن فكر بندلي أو غيره، لا يمكن أن يكون مادة للتقارب في اللاهوت إلّا إذا اعتمده وجدان الكنيسة الجامعة مرجعًا. أما في الأمور الأخرى، كالتربية وعلم النفس وغيره، فالحكم هو لأصحاب الاختصاص، مع التشديد على أن لا **مجلس الكنائس** ولا **اتحاد الطلبة المسيحيين** ولا **حركة الشبيبة الأرثوذكسية**، ولا **أي كاهن أو علماني** يتبرّع للمساهمة في هذا التقارب **مُنفردًا** هو مَن يختار.

من جهة أخرى، تظهِر المحادثة **أن الأقباط** متمسّكون بنظرتهم المسيحانيّة التي تخالف التعليم الأرثوذكسي (**المسيحانيّة اسم مؤنث منسوبٌ الى المسيح**) وهم يعلّمون أجيالهم هذا التعليم، بما يؤكّد أن القول بأن الخلاف بين **الأقباط والأرثوذكس هو خلاف لفظي غير صحيح**. فوق هذا، إن عملية الحذف عن فايسبوك تؤكّد خطورة أن تعاطي الحوار اللاهوتي مَن هو غير مؤهّل ومتدرّب لذلك. واضح أن عبارة «وكأنه» تعني أن الأمر فعليًا لم يحدث، وهذا ما وجد فيه **القبطي** دعمًا لنظرته، وما وجد فيه القائم على الصفحة إحراجًا

واتّهامًا لكوستي بندلي بالافتقاد إلى التعبير الدقيق عن العقيدة الأرثوذكسية **فلجأ إلى الحذف**. لكن مَن يعرِف كم من الناس قرأ هذا الحوار قبل حذفه؟

في الختام، نعيش في **أنطاكيا فوضى لاهوتية** سببها الأساسي عدم الاهتمام باللاهوت من جهة، وغياب المجمعية من جهة أخرى. لا لجان تدرس ولا أساقفة تراقب ولا معاهد تبحث ولا أديار تسهر، فيما شبكات التواصل الاجتماعي تفتح شهية الجميع على اتّخاذ دور التعليم بغضّ النظر عن النوايا. من جهة أخرى، انفتاح بعض الأنطاكيين على المؤسسات الكونية التي يهمها تسجيل اللقاءات بين الكنائس على أنها إنجازات في سِيرِها، يزيد من قابلية التأثّر والإصابة في الكنيسة. يُضاف إلى هذه التوهّمُ الذي يعيشه البعض، ومنهم من الرؤساء، بأن الوحدة المسيحية الشكليّة تزيد من مناعتهم في الوضع السياسي والاجتماعي القائم.

(١) https://youtu.be/ZUzzqdRj.hY ابتداءً من الثانية ٢:٥٠

(٢) http://mjoa.org/archives/٣٠٠٠٤

في الطبيعتين، ضدّ الطبيعة الواحدة للقديس يوحنا الدمشقي

وإن الطبيعتين قد اتحدت إحداهما بالأخرى بدون تحويل ولا تغيير، فلا الطبيعة الإلهية تزحزحت عن بساطتها الخاصّة، ولا الطبيعة البشرية قد تحوّلت إلى طبيعة اللاهوت، أو زالت من الوجود أو وأصبحت كلاهما طبيعة واحدة مركبة، فإن الطبيعة المركبة لا يمكنها أن تكون مساوية في الجوهر لأي من الطبيعتين اللتين تركبت منهما، لأن اتحاد طبيعتين مختلفتين يأتي بطبيعة تختلف عن كل منهما، مثلهما مثل الجسم المركب من العناصر الأربعة، فهو لا يقال فيه إنه مساوٍ للنار في الجوهر ولا يسمّى ناراً، ولا يقال فيه إنه هواء ولا ماء ولا تراب، ولا إنه مساوٍ لأي منها في الجوهر. وعليه إذا سلّمنا مع الهراطقة أنَّ المسيح –بعد الاتحاد– قد صارت له طبيعة واحدة مركّبة، فتكون طبيعته البسيطة قد تحوّلت إلى طبيعةٍ مركبة ولا يظلُّ مساويًا للآب في طبيعته البسيطة، ولا لأمه التي ليست مركبة من لاهوت وناسوت. ومن ثم لا يكون في اللاهوت ولا في الناسوت، ولا يُسمّى إلهاً ولا إنساناً، بل المسيح لا غير وتكون كلمة **مسيح**، لا اسم الأقنوم بل اسم الطبيعة الواحدة كما يزعمون.

وإذا قال القائلون بطبيعة واحدة في المسيح بأنها بسيطة، فهم إمّا يعترفون بأنه إله وحسب – وبذلك يشطّون بمخيّلتهم فينكرون التأنس– وإمّا يقولون بأنه إنسان لا غير كما يزعم نسطوريوس، وحيئذ أين يتحقق القول بأنه كامل في لاهوت وكامل في ناسوته؟ ومتى يا ترى يقولون إن في المسيح طبيعتين اثنتين إذا قالوا الآن –بعد الاتحاد– بطبيعة مركبة واحدة؟ لأنه واضح جداً انه كان للمسيح طبيعة واحدة قبل الاتحاد.

ولكن الذي جعل الهراطقة يضلّون هو اعتقادهم بأن الطبيعة هي

القديس يوحنا الدمشقي – مجرى الذهب

الأقنوم نفسه. ولما نقول بطبيعة واحدة في البشر، علينا أن نعرف أننا إنما نقول هذا القول بدون التفات في كلامنا إلى النفس والجسد. لأنه لا يمكن أن نقول في مقابلة النفس بالجسد إنهما من طبيعة واحدة. ولكن لمّا يكون لدينا كثرة من الناس وكلّهم تنطبق عليهم كلمة الطبيعة نفسها –لأنهم كلهم مركّبون من نفس وجسد وكلهم ينعمون

بطبيعة النفس وقد حصلوا على جوهر الجسد- فنقول بأنهم من نوع مشترك في طبيعة واحدة مؤلفة من أشخاص كثيرين ومختلفين. وواضح إذاً أن لكل شخص طبيعتين وأنه يكتمل في طبيعتين، نفس وجسد.

كيفية اتحاد الطبيعتين في المسيح:

وإن كلمة نوع مشترك لا يمكن استعمالها في التعبير عن ربّنا يسوع المسيح، لأنه لم يكن قط ولا يكون ولن يكون مسيحًا آخر من لاهوت وناسوت، هو نفسه إله كامل وإنسان كامل في لاهوت وناسوت. ولا سبيل للكلام عن طبيعة واحدة في ربّنا يسوع المسيح، بمعنى أنه كما الفرد من نفس وجسد كذلك يكون المسيح من لاهوت وناسوت. وإذا كان هناك فرد، فالمسيح ليس فردًا وهو لا يُصنّف في نوع من مسحاء. لذا فإننا نقول بأن الاتحاد صائر من طبيعتين كاملتين، إلهية وإنسانية، ليس بشكل انعجان أو اختلاط أو امتزاج كما يقول ديوسقوروس وأوطيخا وساويروس ومن سار سَيْرَهُمْ، ولا بإلفة شخصية أو ودية أو على سبيل الرتبة أو وحدة الرأي أو وحدة الكرامة أو وحدة الاسم أو وحدة الرضى كما يقول نسطوريوس ودروسورس وثاودورس المفصوصطي وجماعتهم، ولكننا نعترف بتركيب هو -في ما يخص الأقنوم- بلا تحويل ولا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، في طبيعتين حاصلتين على كمالهما في أقنوم هو أقنوم ابن الله المتجسد، قائلين بأن هذا هو أقنوم لاهوته وناسوته ومعترفين بأن الطبيعتين تظلان سالمتين فيه بعد الاتحاد، دون انفراد كلٍّ منهما بميزتها، بل متحدتين إحداهما مع الأخرى في الأقنوم الواحد المركب. فنقول باتحاد جوهري -أي حقيقي لا خيالي- وجوهري، لا بحيث تحصل طبيعة واحدة مركبة من طبيعتين، بل بحيث تتحد الطبيعتان الواحدة بالأخرى في أقنوم واحد مركب هو أقنوم ابن الله، ونحدد بأنهما تحتفظان بتباينهما الجوهري. فالمخلوق منهما لا يزال مخلوقاً، وغير المخلوق، غير مخلوق. والمائت يبقى مائتًا والخالد، خالدًا . والمحصور، محصورًا . وغير المحصور، غير محصور. والمنظور، منظورًا . وغير المنظور، غير منظور.و «أحدهما يتلألأ بالعجائب والثاني يهوي تحت الإهانات» (البابا لاون الكبير. رسالة ٢٨، رأس ١٤، عدد ٢٩ وما يليه).

تبادل الاختصاصات في المسيح الإله والإنسان:

ويختص الكلمة لذاته بشؤون ناسوته -لأنّ ما لجسده المقدس هو له- ويمنح جسده من خواصّه على سبيل التبادل، بسبب اتصال الطرفين أحدهما بالآخر واتحادهما في أقنومه، و "لأنه كان واحداً وهو هو نفسه فاعل الإلهيات والبشريات على هذا الشكل، أو ذاك مع اشتراكه بالآخر" (طومس البابا لاون). لذلك نقول: إن رب المجد قد صلب (١كور٢: ٨)، مع أن طبيعته الإلهية لم تتألم. ونعترف أنّ ابن البشر كان في السماء قبل آلامه، كما قال الربّ نفسه (يو٣: ١٣)، فإن رب العجائب والآلام، ولو كان هو نفسه يجترح العجائب بطريقة، ويحتمل الآلام بطريقة أخرى. ونفهم ذلك بأن وحدة أقنومه تحفظ تباين الطبيعتين الجوهري سالماً. وكيف يسلم التباين يا ترى إذا لم تسلم صاحبتا التباين؟ لأن التباين تباين بين متابينين. فنقول إذاً إن السبب الذي لأجله تتباين طبيعتا المسيح إحداهما عن الآخرى -وهو سبب جوهره- يرتبط بالأقاصي. فبالنسبة إلى يرتبط بالآب والروح، وبالنسبة إلى ناسوته يرتبط بأمّه وسائر البشر. ولهذا السبب عينه الذي لأجله ترتبط طبيعتاه، نقول بأنه في تباين مع الآب والروح وأمه وسائر البشر. فطبيعتاه ترتبطان بأقنومه -لأن لهما أقنومًا واحدًا مركبًا- يكون في تباين مع الآبا والروح القدس وأمه ومعنا نحن.

ردّ على القائلين:- لو كان للمسيح طبيعتان لكنتم تسجدون للخليقة بسجودكم لطبيعته المخلوقة، أو تقولون بالسجود لطبيعة واحدة وعدم السجود للأخرى

السجود لجسد للمسيح إنما هو لاتحاده في المسيح وليس ذلك بحدّ ذاته: -

إننا نسجد لابن الله مع أبيه وروحه القدّوس، اللاجسمي قبل تأنّسه والمتجسّد الآن والصائر إنساناً مع كونه إلهاً. وعليه، فإنَّ جسدَ الربّ، على مستوى طبيعته، إذا أمكنكَ باجتهاداتٍ دقيقة أن تفصل فيه المنظورَ من المعقول، فهو لا يُسجد له، على أنه مخلوق. أمّا وقد اتحد بالله الكلمة، فهو يُسجد له بسبب الكلمة وفي الكلمة. وعلى هذا المنوال يُركع للملك عارياً كان أم لابساً. والثوبُ الأرجوانيُّ -بصفته مجرّد ثوب أرجوانيّ- يمكنك أن تدوسه وترميه خارجاً. أما وقد صار الرداءَ الملكيّ، فيحقُّ له الإكرام والتمجيد، وإذ احتقره محتقرٌ، يُحكم عليه أغلب الأحيان بالموت. وعلى هذا النحو قل عن أيّ عودٍ طبيعيّ، فهو ليس ببعيد المنال واللمس. ولكنه متى ألقي في النار وأصبح جمراً، يصير بعيدَ المنال -ليس بحدِّ ذاته بل لاتحاده بالنار. ولم يكن العود من طبعه صعبَ المنال، لكنَّ ذلك هو الجمرُ أو العود المشتغل. كذلك الجسد. فهو بحسب طبيعته لا يستحقُّ السجودَ له، لكنه يُسجدُ له في الله الكلمة المتجسّد، لا لذاته بل لاتحاده أقنومياً بالله الكلمة. فلسنا نقول بالسجود لمجردّ جسد، بل لجسد الله، أو الله المتجسّد.

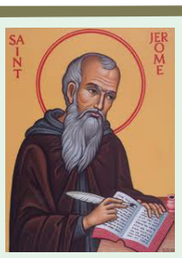

«أتوسّلُ إليك ألَّا تبحث عن مكسب دنيوي من وراء خدمتك تحت راية المسيح، وألَّا تسعى إلى فوق ما كنت عليه من ثروة عندما قررت أن تسير على خطاه.

إنَّنا نقع على نساك أوفر نعمة في الصحراء ممّا كانوا عليه في العالم، ونقع على رجال دين اختاروا العيش بفقر المسيح يسوع فإذا بهم أوفر ثروة مما كانوا عليه يوم كانوا يعيشون في العالم ...

تجنَّب تجنُّبَ الطاعون رجل دين يتعاطى الأمور المادية فيقفزُ من فقر إلى غنى ويزهو مُعتدًّا».

القديس جيروم _ رسالة 52

ما هو ذكر الموت وماذا يعني؟

الأب جورج كبسانيس – دير القديس غريغوريوس في جبل آثوس

يساعدنا ذكر الموت على تخطي ذاتنا السابقة، لأنه يجلب التواضع إلى النفس. **عندما ننسى الموت** نقع تحت وهمٍ أننا سوف نبقى على الأرض إلى الأبد وهذا **يزيد غطرستَنا، جشعَنا، عبادتَنا للجسد وميلَنا لاستغلال الآخرين**. ذكرُ الموت يعطينا شعورًا بمحدوديتنا على الأرض وأهمية أفكارنا وكلماتنا وأعمالنا لحياتنا بعد الموت وفي الأبدية.

يساعدنا **ذكر الموت** على التعاطي بجدية مع الحياة الحاضرة، على ضوء الأبدية، حتّى **لا نضيّع حياتنا الأرضية في التبذير والإهمال والعبث**، من دون أي تفكّر بالنتائج.

قال **سقراط الحكيم اليوناني القديم**، أن الفلاسفة الحقيقيين يدرسون الموت دومًا، وبالنسبة لهم الموت ليس رهيبًا أبدًا. **والقديس يوحنا الذهبي الفم** ينصحنا بزيارة القبور دومًا حتّى نتفكّر بعبثية الأعمال البشرية.

نحن نعرف جميعًا أن بعد **زيارة المقابر** نكون أكثر تواضعًا واحتمالًا وأقلّ تعلّقًا بالأمور المادية وأكثر انفتاحًا على الله والآخرين.

إن **ذكر الموت** الذي كتب عنه كثيرًا **القديس يوحنا السلّمي** وغيره من الآباء القديسين لا علاقة له بأي تفكير مريض أو سوداوي أو عصابي. هذه لا تنفع النفس أبدًا لأنها لا تجلب إلّا اليأس وينبغي تخطيها بمعونة مُرشد روحي.

إن **ذكر الموت** الذي من الله هو **حالة مواهبية روحية تجلب التواضع والسلام والبهجة للنفس**. إنه عطية من الله ومنه ينبغي أن نطلبها.

كيف يتمّ ذكر الموت؟

بقدر ما نتخطّى حياتنا المتمركزة حول الذات، وبقدر ما نحب الله أكثر ونفكّر به أكثر. نفكّر بما يهمّنا وما نحبّ. الرب نفسه قال: «حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم».

إن دراسة كلمة الله في الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة، التواصل مع أشخاص روحيين يحبّون الله، الصلاة بحرارة، الاشتراك بالخدَم بانتظام والمناولة باستمرار وعن استحقاق، كلها أمور تؤجج محبة الله في داخلنا وبالتالي ذكرنا له.

ينصحنا **القديس غريغوريوس اللاهوتي**: «تذكر الله أكثر مما تتنفس».

إن الذكر الدائم للموت يجلب سلامًا عميقًا وفرحًا للنفس، حتّى في أصعب ظروف الحياة.

يا أتباع المسيح، يا قادة المسيحيّة، أيّها الرعاة والروّاد، هل أنتم حقًا نور وملح في حياتكم؟ هل كُل من يَراكم يَرى أعمالًا حسنة فيُمَجِّد أباكم الذي في السموات؟ هل سيرتكم وحركاتكم وسكَناتكم وأعمالكم وطباعكم حياة المسيح، هل: «حَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.

فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، الأُمُورَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَلَكْتُمْ قَبْلاً، حِينَ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ فِيهَا. وَأَمَّا الآنَ فَاطْرَحُوا عَنْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا الْكُلَّ: الْغَضَبَ، السَّخَطَ، الْخُبْثَ، التَّجْدِيفَ، الْكَلاَمَ الْقَبِيحَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ، حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ.»

فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ.» (كولوسي ٣: ٢-١٥).

ما هي الكنيسة؟

بندلايمون تومازوس

نقلها إلى العربية
الأب أنطوان ملكي

ما هي الكنيسة؟ كيف نعرّفها؟ من الصعب تعريف الكنيسة والحياة، لأن ما يُحدَّد يُقيَّد. يمكن وصف الكنيسة فقط من خلال لغة الصور، كالكرمة، جسد المسيح، أو قطيع من الأغنام العقلية. عندما نسمع هنا كلمة «كنيسة»، عادة ما تتبادر إلى الذهن صورة الكهنة بشكل تلقائي وغريزي. عن وعي أو لاوعي، نحن نساوي سريًّا الكنيسة بالأساقفة والكهنة فيما نقبل في الوقت نفسه دورًا دون ذلك للشعب الذي يخضع لهيمنة سلطة الكاهن أو الرؤساء. لا يدرك الذين يقبلون هذه المفاهيم المشوّشة أنها نتاج **اللاهوت الغربي**، وأنها أبعد ما تَكُونُ عن تقاليدنا الأرثوذكسية. بالنسبة للتقليد الأرثوذكسي، فإن أي فصل من هذا القبيل بين الإكليروس والعلمانيين إلى فئتين داخل الكنيسة الواحدة غير القابلة للانقسام أمر لا يمكن تصوره. لا تتكوّن الكنيسة من الكهنة بمفردهم، ولا من العلمانيين وحدهم، بل إن كلتا المجموعتين معًا متحدتان في جسد واحد مع الرب يسوع المسيح كرأسه.

ليست الكنيسة مُنَظَّمة، **أو جمعية للناس ذوي العقول المتديّنة، أو مجموعة من الناس أصحاب الاهتمامات الماورائية، طائفة من المختارين الذين في وقت ما في المستقبل سوف يفرحون لهلاك المُدانين بالجحيم، ولا هي نادٍ اجتماعي يهدف إلى الرضا المادي وأعمال الخير.**

الكنيسة هي شركة كائنات عقلانية وذكية مع الله، جسد أولئك الذين يقبلون ألوهية يسوع الناصري. يكتب **القديس مكسيموس المعترف**: أن «الكنيسة هي نموذج وصورة الله، لأن لها نفس مهمته». كما أن الله يجمع كل العناصر في الطبيعة معًا، ليخلق عالَمًا من الوئام الكامل والجمال الذي لا مثيل له، هكذا تقوم الكنيسة بتوحيد أعداد لا حصر لها من الناس تحت أنظار الله الفائق القدرة. تقوم الوحدة والسلام اللذان يمنحهما الله على الإيمان. «بهذه الطريقة يتحد جميع الناس وينمون معًا في نعمة الإيمان البسيط وغير القابلة للتجزئة». الكنيسة هي شركة فعلية بين الله وبيننا، ليست **مؤسسة**، بل **وسيلة تقود إلى الاشتراك في الله**. بالطبع للكنيسة جانبها المؤسساتي، لكن هذا ليس كل شيء.

الكنيسة واحدة، إنها جامعة ورسولية، ما يعني أن جذورها في ظهورات وإعلانات الثالوث الأقدس. **«إن الكنيسة هي الخلق نفسه»**، ما يعني أن الله يُعرف فقط في الخلق والتاريخ، لأنه هناك يستعلن. من المستحيل أن يتغلب الناس على حدود طبيعتهم المخلوقة، وأن يقتربوا من مجالات فوق الأرضي وفوق السماوي.

أولًا يأتي الله إلى العالم ثم يتحوّل البشر إليه بإرادتهم الحرة. لذلك، بما أن هناك **حقيقة واحدة وخلقًا واحدًا فيتبع وجود كنيسة واحدة**. من الناحية اللاهوتية، من غير المقبول القول بأن هناك العديد من الكنائس التي تدرك الله بطرق مختلفة. إن قبول وجود عدّة كنائس يعني قبول عدّة حقائق، ما هو **غير منطقي وعاقّ وسخيف**. للحقيقة دائمًا الأولوية، لا لتمثيلها أو تفسيرها. **الخلاص موجود فقط داخل الكنيسة**؛ أي أننا فقط عندما نتبع طريقة حياة الكنيسة نخلص. بهذه الطريقة ، الأشخاص الذين لا يعرفون المسيح، ولكن يتبعون مسار المحبة المسيحية سيتم الحكم عليهم بحسب ضميرهم وسيخلصون.

هناك بعض اللاهوتيين المعاصرين الذين، بحجة الاهتمام بخلاص العالم كله، يصفون الكنائس بأنها انحرافات عن المسيحية (**آلاف الفروع والشِّيَعُ البروتستانتية والكاثوليكية**). فهم غير قادرين على فهم **حقيقة أن الكنيسة هي الحقيقة بحد ذاتها** – الخلق والعلاقة والشركة بين الثالوث الإلهي والبشرية.

ليست الكنيسة قبول بعض الكائنات المجردة المتعالية الإلهية والمقدسة التي نحن مدعوون للدخول في شركة معها بطرق ووسائل متنوعة. يجب أن نلاحظ أن حصرية الحقيقة توازي قبول الكنيسة الوحيدة الواحدة. جميع الطوائف المسيحية لديها شكل من التنظيم المؤسساتي، **لكن هذا لا يجعلها كنائس**.

فقط أولئك الذين يحددون الكنيسة بالكهنة والسلطة الإدارية (**غير المواهبية**) هم بشكل عام **قادرون على قبول وجود العديد من «الكنائس»**.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس خوندروبولوس

الجزء الثالث ✝ الفصل الأوّل ✝. (تتمة)

– إذا كان ما تقوله صحيحًا، فَلِمَ جرى تعيينه هنا ؟

– لقد كَفِلَهُ رئيس الأساقفة جرمانوس. ولا أعرف لِمَ يستلطفه هذا المتآمر جرمانوس.

– لا تهتم بكل ما تسمع. فسوفَ نعرفه على حقيقته في وقتٍ قريب: فعند الامتحان يُكَرَّم المرء أو يهان، كما يقولون. إلَّا أنَّ هناك أمرًا آخرَ يُشغلني.

– وما هو؟

– يقولون عنه وديع ورجُلُ تقشّفٍ وصلاةٍ، فكيف سيتدبّر أمره مع الطلاب؟

– أنتَ على حقٍّ تمامًا، فانَّ شباب اليوم قد استيقظوا، ولم يعودوا يتقبّلون كل ما يُقال لهم.

– أجل، أعتقد انه سيواجه هنا صعوبات، فشباب اليوم سيّئو النية وماكرون. إنّهم يلجأون إلى جميع الأساليب الممكنة لخداع أساتذتهم ومخالفة النظام. وقد سمعتُ البارحة أيضًا أنَّ ... «ولم يتسنَّ للمستشار أن يُنهي جملته، فقد عادَ أمين السرّ بسرعة هاتفًا: لقد وَصَلَ، هلمَّ بنا لنستقبله».

وإذا بسيارة يجرّها حصان قد توقفت أمام البوابة الحديدية، وترجَّل منها كاهن يبدو عليه التعب الشديد من رحلة السفر. فخرج المستشاران وأمين السرّ والأستاذان، وأحاطوا به قائلين:

– أهلًا وسهلًا بِكَ يا صاحب السيادة! أهلًا وسهلًا بك.

فأجابَ نكتاريوس

– «ليكن الرب معكم». وكانت هذه أولى الكلمات التي سمعوها منه.

وراحوا يراقبونه بِشَغَفٍ، وهم يحدقون فيه محاولين تكوين فكرة عنه، وقراءة أعماقه، واكتشافه من خلال تصرفاته ونظراته وكل ما يبدو عليه.

كان ذا قامة متوسطة ووجهٍ متناسق مليء بالرفق، وكانت عيناه الزرقاوان تلمعان بطريقة فريدة، كنور ذلك النهار الربيعي.

وبدا كامل وجهه مُشِعًّا تقريبًا وقد بدأت لحيته تبيَضّ. فهمس المستشار الأوّل في أذن أمين السرّ.

– «كأنَّ هذا الوجه خارج من الكتاب المقدّس».

فردَّ عليه الآخر:

– سوفَ نرى لاحقًا، لا تتسرَّع في حُكمك.

وإذ حصَلَ التعارف الأوّلي المعتاد، اقترح أمين السرّ أن يقود نكتاريوس إلى الصالة المخصصة للضيوف المهمّين. فقال نكتاريوس بصوته العذب:

– بل إلى الكنيسة أرجوك!.

ودون أن ينتظر من يقوده، تقدَّم ودخل كنيسة القديس جوارجيوس. واتجه نحو باب الايقونسطاس الشمالي الصغير الذي كان مفتوحًا ودخل الهيكل. فانحَنَى وَقَبَّلَ الإنجيل المقدس. ثم ركع أمام المصلوب وأحاطه بذراعيه. وبدت عيناه مبللتين وهو يتكلّم ويصلّي بصوتٍ خافت. ماذا كان يقول؟

– «يا يسوع الكليّ الرحمة، أيّها المخلّص، الكلمة الكلّي الاقتدار، ابن العذراء، الحَمَل المذبوح، والقائد الكليّ الحكمة، أشفق على عبدك، وأهّله لأن يضع إرادتك نُصب عينيه على الدوام، وأن يحقّقها. إنّي أرفع لك الشكر، أرفع لكَ الشكر من أعماق قلبي».

وكان المستشاران والأمين العام والأساتذة ينتظرونه ويُحَدِّقون به مذهولين. وتمتم أحدهم:

– إنّه يبكي! يبكي ويتأوّه.

– إنّه يُبلِّل الصليب الثمين بدموعه.

بعد قليل عبرَ نكتاريوس الباب الملوكي الذي فتحه في ذلك الأثناء، وخرج من الهيكل وهو يسير ببطء. وقبّل أيقونة السيدة العذراء ووقف أمامها لبعض الوقت وقد بدت على وجهه إمارات سعادة عظيمة. وسمعه الحاضرون يكلِّمها باحترامٍ كبير. ثمّ أنشَدَ لها تسبيحة بسرعة. وأخيرًا استدار نحو الذين كانوا بانتظاره، وابتسم لهم وقد علا وجهه الاحمرار كولدٍ صغيرٍ يطلب السماح لتأخره. وقال لهم:

– «سامحوني أرجوكم، أنا الآن بتصرفكم».

فأحاطوا به من جديد وهم ينظرون إليه ساكتين. كان كُل واحد منهم يرغب في قول شيء له، لكنهم ارتبكوا ولم يعرفوا كيف يعبّرون عن فكرهم، ولا كيف يتفوّهون بجُمل جميلة. ثمّ صرَخَ أمين السرّ:

– هل بنا إلى صالة الاستقبال. نحو اليمين يا صاحب السيادة!

وتقدّموا جميعًا في ذلك الاتجاه بخُطى بطيئة.

الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور (٨٥)

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا

شرح لطقس المعموديّة (تتمة)

(٧) لماذا يُستخدم الماء في المعموديَّة:

يُستخدم الماء عادة للاغتسال والتنظيف. يُعبِّر الماء في المعموديَّة عن حقيقة أن المسيح مِن خلال هذا السرّ يُطهِّرنا من الخطيئة الأصليَّة والخطايا الشخصيَّة.

كانت صورة المسيح – الراعي الصالح – موجودة غالبًا في حُجرات المعموديّة في الكنيسة الأولى. إنَّ مَغزَى هذا نجده في مزمور ٢٣، الذي يتكلّم فيه الراعي داود ويقول: «الربّ يرعاني فلا يُعوزني شيء .. على مياه الراحة يوردُني، يَردّ نفسي». يقول الآباء: «إنَّ مياه الراحة هذه هي المعموديَّة التي يجمع الراعي فيها خرافه الضَّالة ويُعطيها حياة جديدة».

يصف **القديس يوحنا الذهبي الفم** ما يحدُث أثناء المعموديّة: « عندما تأتي إلى سِرّ التأسيس المُقدَّس، فإنَّ الأعين الجسدية تَرى ماءً، أمَّا أعين الإيمان فَتَرى الروح. تلك الأعين ترى الجسم يعتَمِد، وهذه ترَى الإنسان العتيق يُدفَن. الأعين الجسديَّة ترى الجسد يَغتَسِل، وأَعين النفس تَرى الروح تتطهَّر. أعين الجسد تَرى الإنسان يخرُج من الماءِ، وأعين الروح تَرى الإنسان الجديد يخرُج ببهاءٍ مُشرق بعد هذا التطهير الجديد. أعيننا الجسدية تَرى الكاهن يضع يَده اليُمنى مِن أعلَى على رأس المُعَمَّد وتلمسه، وأعيننا الروحيَّة تَرى الكاهن الأعظَم يسوع يمدّ يده غير المرئيّة ليلمس رأس المُعمَّد. إذن في تلك اللحظة فإنَّ الذي يُعَمِّد ليس هو إنسانًا ولكن ابن الله الوحيد».

(٨) الطفل العاري:

يعتمد الطفل وهو عارٍ تمامًا. هذا يُشير إلى أنَّه كما خرجنا عَرايا من بطون أُمَّهاتنا، هكذا نخرج عَرايا من بطن الله، أي جُرن المعموديّة، كما أن خَلْع الثياب يُشير إلى حمأة الخطيَّة التي سوف تُلقَى خارِجًا تمامًا من خلال المعموديّة. وأخيرًا كما أنَّ الرياضيِّين يتعرَّون قبل المباراة لتكون حَرَكتهم حُرَّة، هكذا يليق بالمُعَمَّد أن يَنزَع ثيابه علامة على أنَّ المسيحيَّة هي معركة وحرب خطوة بخطوة مع **الشيطان**. وأخيرًا فإنَّ خلع الثياب بلا خجل يُشير إلى حالة الإنسان الأولى في الفردوس قبل السقوط عندما كان أبَوانا لا يخجلان وهما عُريانان لأنّ الله رأى أن كل ما خلقه هو حسنٌ جدًّا.

(٩) الدَّهن والتبريك بالزيت:

يُبارك الكاهن زيت الزيتون ثمّ يَدهَن به مُختَلَف أعضاء جسم الطفل: يديه وقدميه وأذنيه ليُخَصِّص الكلّ لخدمة المسيح. اعتاد المُصارعون اليونانيّون القدامى أن يدهنوا جسمهم بزيت الزيتون ليجعلوا من الصعب على الخصم أن يُمسِك بهم. وهكذا فإنَّ الطفل يُدهَن في المعموديَّة بزيت الزيتون تعبيرًا أيضًا عن صلواتنا التي تُلازم المُعَمَّد ليقدر بمعونة المسيح أن يفلِتَ من استحواذ الخطيّة.

وَقَبْلَكَ داوَى الطبيبُ المريضَ
فعَاشَ المريضُ ومات الطبيبُ
فَكُنْ مُستَعِدًا لِدارِ الفَناءِ
فَإنَّ الذي هوَ آتٍ قَرِيبُ

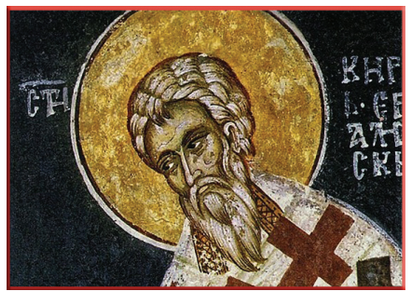

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعةَ عشرةَ «في الروح القدس» (تابع)

العظة السابعةَ عشرةَ
في الروح القُدس (تابع)

١١- اقوال المخلّص عن الروح القُدس:

يمكن أيضًا تفسير هذه النصوص تفسيرًا آخر. ولكن يَحسُن بنا الآن أن نستمع الى ما يقوله المخلِّص عن الروح القُدُس، إذ يقول: «ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلَّا إذا وُلِدَ، وكان مولده من الماء والرّوح» (يو ٣:٥). ويقول إنَّ النعمة تأتي من الآب: «...فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لو١١:١٣). ويقول أيضًا إنه يجب عبادة الله بالروح : «وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو٤:٢٣-٢٤). وأيضًا:«وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ» (متى١٢:٢٨) ... (ثم يستطرد فيقول): لذلك أقول لكم: «..كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ لِلنَّاسِ. وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي.» (متى ١٢:٣٢-٣٢). ويقول كذلك: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.» (يو١٤:١٦-١٨). ويقول أيضًا: «وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.» (يو١٤:٢٥-٢٦). ويقول أيضًا:«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي.» ١٥يو٢٦:١٥). ويعود المخلِّص فيقول: «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ:» (يو١٦:٧-٨). ثمَّ يستطرد فيقول: «لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ» (متى١٦:١٢- ١٥). لقد تلوتُ عليك كلام الابنِ الوحيد نفسه، لكي لا تتمسّك بكلام البشر.

١٢- المسيح يَعِدُ الرُّسل بالروح ويمنحه لهم:

وقد مُنِحَ الرُّسل شَركة هذا الروح القُدس، اذ كُتِبَ: «وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ:«اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يو ٢٠:٢٢-٢٣). وهذه هي المرّة الثانية التي نَفَخَ فيها، إذ أن المرّة الأولى كانت عندما خلَقَ الله آدم: «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً.» (تكوين ٢:٧)حيث أظلمت بسبب الخطايا الاختياريّة، لكي يتمّ ما كُتِبَ: «وصَعِدَ نافخًا في وجهك وَمُنَجيًّا إيَّاكَ من الحزن» (ناحوم ١:٢ سبعينية). ومن أين صَعد؟ – من الجحيم، لأنه هكذا يروي الإنجيل: إنّه نفَخَ فيهم بعد قيامته. ولكنّه الآن يُعطي النعمة ويَهبها بغزارة، ويقول لهم: أنا الآن على استعداد لأن أُعطيها، ولكنّ الإناء لا يستطيع أن يحويها بعد؛ فتقبّلوا الآن النعمة بحسب استطاعتكم وانتظروا نعمة أوفر. «وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لو٢٤:٤٩). تقبّلوا الآن جزءًا ولكن عندئذ ستحملونها كاملة، لأنّ الذي يتقبّل لا يَنال غالبًا إلَّا قليلًا مما يُعطى، ولكن الذي يلبس الثوب، فالثوب يكسوه كلّه. إنه يقول: لا تخافوا أسلحة الشيطان وسهامه، لأنكم ستلبسون قوّة الروح القُدس. (تذكّروا ما قُلنا أخيرًا من أنَّ الروح لا يتجزأ بل النعمة التي يمنحها).

١٣- العنصرة:

صَعِدَ يسوع إلى السموات وَوَفَى بوعده، لأنه سَبَقَ وقال: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» (يو ١٤:١٦). فمكثوا ينتظرون مجيء الروح القُدس. ولمَّا أَتَى يوم العنصرة – هنا في أورشليم هذه، مما يشرِّفنا، إذ نحنُ لا نتكلَّم عن أمور وقعت عند الآخرين، ولكن عن تلك التي حدثت عندنا – فلمَّا أتى يوم العنصرة، كانوا جالسين، ونزل المعزّي من السماء، حارسُ الكنيسة ومقدّسها، مدبّر النفوس، وربّان الذين تعصف بهم الرياح، حاملُ النور للتائهين، وَحَكَم الذين يُناضلون، ومكلِّل الظافرين.

قَالوا قنعْتَ بِذَا قلتُ القنُوعُ غِنَى
ليسَ الْغِنَى كثرةَ الأموَالِ والْوَرَقِ
رَضيتُ باللهِ فِي عُسْرِي وَفِي يُسْرِي
فَلَسْتُ أسلُكُ إلَّا أوضَحَ الطُّرُقِ